العدد الرابع من السنة السادسة — ربيع الثانى سنة ١٣٦٤ — أبريل سنة ١٩٤٥

مجلة
الشؤون الاجتماعية

تصدرها شهريا وزارة الشؤون الاجتماعية

مدير التحرير : حسن الشريف
تليفون ٨٥٣١٢

المطبعة الأميرية بالقاهرة
١٩٤٥

في هذا العدد

تعاون الدول فى رفع مستوى المعيشة	معالى وزير الشئون الاجتماعية	٣
طفولة الانسانية	الأستاذ عباس محمود العقاد	١٦
آمال الانسانية	معالى وزير الصحة	٢١
أنت عظيم	الدكتور منصور فهمى باشا	٢٣
رفع مستوى معيشة الفلاح	« أحمد حسين	٢٤
النماذج الأساسية للاسرة	« محمد غلاب	٤٣
مشروعات ما بعد الحرب	« سيد كريم	٤٩
الزواج	الأستاذ يحيى هويدى	٥٥
بحث طبى فى التدخين	الدكتور عمر شوقى	٥٩
استعمال الألفاظ فى غير مواضعها	فضيلة الشيخ الخضر حسين	٦٦
الرأى العام وعوامل تكوينه	الأستاذ عبد الرحمن العيسوى	٦٨
العبقرية فى قيادة المجتمع	« محمد فهمى عبد اللطيف	٧٢
فى ميدان النشاط الاجتماعى	قلم التحرير	٧٨

إلى أى حد ينبغى أن تتعاون الدول[1]

فى رفع مستوى المعيشة عند الشعوب

لحضرة صاحب المعالى الأستاذ عبد المجيد بدر بك وزير الشؤون الاجتماعية

سيداتى وسادتى :

يوم تضع هذه الحرب الضروس أوزارها ، وتنصرف شعوب العالم عن التطلع إلى حومة الموت والدمار ، إلى التطلع إلى حلبة الحياة والعمران ، فى هذا اليوم ، ستكتب الانسانية بمداد من دماء البشرية التى أهرقت فى هـذا التطاحن ، ميثاقا يقطعـه على نفسه الغالب والمغلوب ، المحارب وغير المحارب ، أن لا حرب بعد اليوم .

فى هذا اليوم ، سيضىء العالم أمل فى حياة سلام مستقرة ، تعيش فيها الشعوب متعاونة فى كرامة ، متساندة فى عزة .

فى هذا اليوم ، و بعد أن تنقشع هذه الغمة ، وتخبو هذه النيران التى صهرت القلوب والأفئدة ، وقضت على ما كان فيها من خبث وشر ، ستطالب الأنسانية بأن يعيش الانسان لأخيه الانسان ، لاعدو له — وأن يضحى الانسان لأخيه الانسان ولا يضحى به .

فى هذه الآونة ، ستهفو النفوس — وقد صفت — إلى نظم تكفل لأهل الأرض حياة تكافأت فرصها ، وارتفع مستواها ، حياة بعيدة عن البؤس والمرض والجهل ، — وسيصبح العالم وقد ارتقت وسائل مواصلاته فوق رقيها المعلوم — جسما واحدا جمعتـه آلام وأحلام واحدة ، وأمانى واحدة .

لقد شملت هذه الحرب وجه البسيطة ، واندلعت نيرانها فى كل ركن من أركان العالم ، فلم ينج من ويلاتها ونكباتها فرد يعيش على وجه الأرض — ولم يذكر التاريخ فى صفحاته أن حربا أخرى قد شملت هذه المساحة من الدنيـا .

كذلك — ولأول مرة — شارك المدنيون العسكريين فى تحمل مصائب الحرب ، بل ان أثرها فيهم قد فاق فى بعض الأوقات أثرها فى العسكريين ، فكم سمعنا أن مدنا اجتثت من أصولها وامحت من صفحة الكون ، وأن آلافا من الأطفال والنساء والعجزة دفنوا أحياء تحت الأنقاض أو التهمتهم النيران .

لقد عانى المدنيون الآمنون من ويلات هذه الحرب الشىء الكثير — عانوا الحرمان والجوع والعرى والمرض — وهم يرنون الآن بأبصارهم إلى عالم جديد يسوده الاستقرار

---

(١) نص المحاضرة التى ألقاها معاليه فى قاعة يونيت الذكارية .

والهدوء والأمن ، ويرفرف عليه الرخاء والدعة والمحبة . ويأملون أن يعوضوا عن بنيهم وذويهم الذين ذهبوا ضحية هذا الصراع العنيف ، وأن يعوضوا عن دورهم التي دمرت وعن أرضهم وزرعهم ومصانعهم ومتاجرهم وعن حرمانهم طوال مدة الحرب مما اعتادوه من الكساء والغذاء والدواء ، يبغون لأنفسهم ولأولادهم حياة فيها من السعادة ما ينسيهم هول الماضي القريب ، أو ذكرياته الأليمة .

لهذا انصرف تفكير الساسة وقادة الرأى فى الأمم إلى تنظيم السلام ، بل إن تفكيرهم فى شؤون الحرب لم يصرفهم يوما من الأيام عن التفكير فى شؤون السلام .

ولقد أفاض هؤلاء الساسة فى وضع خطط واسعة النطاق بعيدة المدى ، كثيرة التفاصيل ، لتنظيم السلام ، وشمل هذا الاستعداد كل نواحى الحياة ، فما من صغيرة ولا كبيرة إلا بحثت أو أعد فيها رأى ليبحث ، وغاية العاملين فى هذا الميدان أنه حال إحراز النصر يكون الاستعداد قد تم لإنشاء عالم جديد ينعم بالحرية والعدل والرخاء ، ويتحرر الانسان فيه من الفقر والمرض والجهل ، حتى لا تفجأهم الحوادث كما فجأتهم عند نهاية الحرب العظمى الماضية

سيداتى ، سادتى :

لقد كان انتصار الحلفاء فى تلك الحرب انتصارا حاسما ، ولكن الانسانية لم تجن من ورائه ما كانت تصبو إليه من راحة وسلام ورخاء ، ذلك لأن الحلفاء لم يكونوا قد استعدوا لتنظيم السلام الذى يعقب الحرب . وقد انقضت أشهر طويلة قضاها رجالهم فى الحوار والجدال أحيانا ، وفى التفاهم والاتفاق أحيانا ، حتى وضعوا شروط الصلح ، التى أطلقوا عليها معاهدة فرساى .

ولم يكونوا قد أعدوا شيئا لتنظيم السلام ، اللهم إلا ما أعلنه الرئيس ولسن من شروط لم تكن تخلو من الغموض والإبهام ، لأنها لم تكن وليدة لمداولات أو اجتماعات جدية من الأمم المتحالفة ، وانما كانت من جانب الحكومة الأمريكية وحدها .

أما فى هذه الحرب ، فلا نغالى إذا قلنا ، إن الاستعدادات قد بدأت لسلام من يوم أن أذلع لهيب الحرب . فأخذ رجال السياسة فى عقد اجتماعاتهم المتتالية ، وأخذ رجال الاقتصاد فى إعداد مذكراتهم المستفيضة ، وأخذ رجال الاجتماع فى إعداد تقاريرهم وبحوثهم الشاملة .

فرأينا اجتماعات تعقد بين الساسة فى مشارق الأرض ومغاربها ، وعنها تصدر قرارات لا تخلو من رأى أو رغبة فى نظام معين يطبق فى وقت السلم ، ومنها ميثاق الاطلنطى الذى صدر فى سبتمبر سنة ١٩٤١ ، ولا مؤتمر " دمبرتون أوكس " الذى عقد فى أكتوبر سنة ١٩٤٤ ،

ولا قانون الاعارة والتأجير ، أو اتفاق المساعدة والتعمير إلا بعض نتائج هذه المشاورات الدوليه التى رمت إلى تنظيم السلام .

أما رجال الاقتصاد والاجتماع ، فقد استفاضت الصحف بأنباء نشاطهم وأعمالهم ، وليس تقرير "بيفردج" فى انجلترا ، وتصريحات "سمنرولز" و "كوردل هل" فى أمريكا ، ومؤتمرات التغذية والعمل وتثبيت النقد ، وما تصدره الهيئات العلمية فى هذين البلدين بين الفينة والفينة من كتب وتقارير وأبحاث إلا تمهيدات لتنظيم السلام الذى سيسود العالم .

سيداتى ، سادتى :

لقد أدرك الساسة وأهل الرأى فى الأمم أن أممهم لن ترضى إلا سلاما صحيحا موطد الأركان ، كما أدركوا أن هذا السلام الذى خسرناه بعد الحرب الماضية يجب أن نعمل على كسبه والاحتفاظ به بعد هذه الحرب .

أدركوا ذلك بوحى من أنفسهم ، واستجابة لرغبة شعوبهم ، أدركوه واعلنوه فى أحاديثهم وخطبهم وقراراتهم ووثائقهم واتفاقاتهم ، أدركوا أن الحقوق التى وهبها الله للانسان وجعلها وقفا عليه ، يجب أن يتمتع بها الانسان حيثما كان وايما وجد ، أدركوا أنه بالمساواة بين الأفراد سيستقر فى العالم الأمن وتتوافر السعادة ، وانه ان لم يظفر بهذه الحقوق كاملة فلا أمن ولا سعادة ، ولا قدرة لقوة مهما عظمت على تلافى الحروب أو منع لهيبها من الاندلاع مرة أخرى .

أعلن الرئيس روزفلت فى البند السادس من ميثاق الاطلنطى أن الأمم المتحدة تأمل بعد القضاء على الطغيان النازى ، أن ترى سلاما يكفل لجميع الشعوب أن تكون آمنة فى داخل حدودها ، مع ضمان التحرر من العوز والخوف لجميع الأفراد ، فى كافة أنحاء العالم .

ورد ذلك فى خطابه الذى ألقاه على مندوبى الدول فى مؤتمر العمل الدولى إذ قال : "لقد أكدتم فى قراراتكم حقوق الأفراد فى الرخاء المادى ، وفى التقدم الروحى فى ظل ظروف تتوفر لهم فيها الحرية والكرامة ، ولابد أن يكون هدف السياسة العالمية هو بلوغ هذه الغاية . وسيكون مدى تحقيق هذه الغاية هو المقياس الذى يقاس به نجاح تلك السياسة" .

وكرر الرئيس روزفلت هـذا المعنى الجليل فى خطابه السنوى إلى مجلس الكونجرس الأميركى فى الثانى عشر من يناير سنة ١٩٤٤ إذ قال : "ومن الشروط الأساسية الجوهرية لحفظ السلام إيجاد مستوى محترم للحياة لكل فرد من الرجال والنساء والأطفال فى جميع الأمم ، وأن التحرر من الخوف يتصل اتصالا وثيقا بالتحرر من العوز والفاقة" .

ومجمل القول أن الدولة الأمريكية العظيمة قد رسمت هى وحلفاؤها الخطوط الرئيسية للحريات فى العالم وجعلتها هدف الأمم المتحدة فى كفاحها الحالى ، وهذه الحريات هى :

حرية القول والرأى ، حرية العبادة ، التحرر من العوز والفقر ، التحرر من الظلم والاستعباد .

سيدائى ، سادتى

هذا ما قطعه الساسة الأمريكيون على أنفسهم من عهود، وما أعلنوه عن دولتهم من آراء فى سبيل تنظيم العالم الجديد ، ولقد شاركتهم الدول المتحدة هذا الشرف منذ اعلان الحرب، من ذلك ما ذكره المستر هاليفاكس فى بريطانيا فى ٦ يونيه سنة ١٩٤١ فى خطاب له لمكاتبى الصحف الأجنبية إذ قال : "الواجب علينا أن نوجه سياستنا بحيث تمكن من توفير مستوى عال من الصحة والطعام والتربية لكل سكان الأرض ، وإن الائتلاف بين العقل والعمل فى سبيل البنيان والتعمير ، هو الهدف لرجل المدنية والحضارة ، وان قصر نظر الزعماء الديمقراطيين ، وقربهم من الأنانية ، وبعدهم عن الإيثار يعيد العالم إلى عصر الشقاق الدموى ."

وقال المستر ايدن وزير الخارجية فى خطاب له فى توتنجهام فى ٢٣ يولية سنة ١٩٤٢ " إما أن نبنى مجتمعا دوليا منظما تستطيع كل أمة أن تعيش فيه وتعمل حرة فى غير خوف ولا محاباة ، وإما أن نهلك جميعا فى حمأة هذا النزاع الوحشى ."

ثم توحدت جهود الأمم المتحدة فى سبيل تحقيق هذه الغايات النبيلة ، وتطلعت النفوس فى سائر أنحاء العالم إلى نتيجة تلك الجهود التى بذلت دون كلل ، فى سبيل أمن الانسانية ورفاهة البشر ، فى ظل سلم عادل دائم تناصره وتشد أزره أمم الأرض كبيرها وصغيرها .

تطلعت النفوس إلى نتيجة أعمال مؤتمر "دمبرتون أوكس" ذلك المؤتمر الذى اجتمع فى اكتوبر سنة ١٩٤٤ من مندوبين عن الولايات المتحدة والمملكة المتحدة (التاج البريطانى) والاتحاد السوفيتى والصين لدرس مشروعات انشاء هيئة دولية لتحقيق غرضين أساسيين الأول — منع قيام الحروب وقمعها إذا قامت ، والثانى — تعزيز السلام تعزيزا مطردا . وذلك بانشاء هيئة دولية لخدمة أغراض التقدم فى الحياة الاقتصادية والاجتماعية كهيئة الدول المتحدة للطعام والزراعة وصندوق النقد الدولى ، والبنك الدولى للتعمير — ومن المقترح كذلك أن ينشأ مجلس للاقتصاد والاجتماع ، لتنسيق الخطط وحل المشاكل الاقتصادية والاجتماعية الدولية . وللعمل على احترام الحقوق الانسانية والحريات الأساسية .

ويسرنى أن أذكر — ما تعرفونه جميعا — من أن الدعوة قد وجهت إلى الأمم المتحدة ومنها مصر لحضور مؤتمر سان فرنسسكو ، المزمع انعقاده فى الخامس والعشرين من شهر ابريل سنة ١٩٤٥ ، ولقد رأت الحكومات التى اجتمعت فى مؤتمر دمبرتون أوكس — وهى صاحبة الدعوة إلى المؤتمر الجديد — أن يجعل هذا المؤتمر أساس أعماله الاقتراحات الخاصة بالتنظيم الدولى العام . التى سبق إعلانها كنتيجة لأعمال مؤتمر "دمبرتون أوكس" ومنها ما سبق أن أشرت إليه .

من هذا ترون حضراتكم ، أن الأمم المتحدة — حكومات وشعوبا — قد استجابت لدواعي الانسانية التي ذاقت الأمرين في هذه الحرب الضروس. فاتحدت وعملت وجاهدت لكسب السلم، كاتحادها واجتهادها لكسب الحرب — ذلك لأن هذه الشعوب لم تقاتل كل هذه السنين ، لتعود مرة أخرى إلى حياة المخاوف والجوع والآمال الخائبة — ولقد استيقظ العالم وسارت الشعوب في سبيل التقدم ، لا يميز بعضها عن بعض جنس ولا لون ولا عقيدة دينية .

سيداتي سادتي :

لن يفرح الناس بالنصر ان لم يصحبه أمان واطمئنان وسلم ورخاء — وهم يطالبون بالنصر في هذا الميدان بنفس الحماسة التي يطالبون بها بالنصر في حومة الوغى ، وإذا فشل الساسة وأهل الرأي في تحقيق هذه الأمنية للانسانية فسيرى الناس في هذا النصر ضربا من العبث لا طائل وراءه . وهذا هو العامل النفساني الذي يهيمن على العالم اليوم — وهذا العامل هو في نظري الدعامة الأولى لتحقيق التعاون الدولي ، لرفع مستوى المعيشة بين الشعوب .

أما العامل الثاني فهو العامل الاقتصادي :

لقد شاهدنا بعد انتهاء الحرب الماضية حربا اقتصادية شعواء بين شعوب الأرض ، اشتد أوارها على مدى الأيام ، واتخذت أشكالا متعددة ، فمن حواجز جمركية الى توزيع في مناطق النفوذ التجارية أقرب ما يكون الى الاحتكار ، الى اغراق للأسواق ، الى غير ذلك من وسائل المنافسة المشروعة وغير المشروعة — بل لا نغالي إن قلنا إن الحرب الحالية هي نتيجة لتلك الحرب الاقتصادية التي اشتعلت بين الأمم عقب انتهاء الحرب العظمى الماضية.

لهذا، أدرك الساسة ورجال الاقتصاد خطأهم، أو على الأصح الخطأ الذي وقع فيه غيرهم،

فوضعوا خططا عامة ترمي الى تنسيق القوى التجارية الدولية وتوحيد الجهود مع العمل على زيادة الموارد وتوفير المطالب والحاجيات للامم جميعا ، ولقد ورد ميثاق الأطلنطي في البند الرابع منه بأن يكون لكل دولة، صغيرة كانت او كبيرة، غالبة أو مغلوبة، أن تشترك على قدم المساواة في تجارة العالم وأن تجد كل منها السبيل الى المواد الخام التي تحتاجها لتقدمها الاقتصادي كما ورد في البند الخامس بإيجاد التعاون الكامل بين جميع الأمم في الميدان الاقتصادي ، حتى تكفل لجميع مستوى أعلى للمعيشة وتقدما اقتصاديا وضمانا اجتماعيا — ومن هذا أيضا ماورد به "كوردل هل" وزير خارجية الولايات المتحدة السابق من قوله : "علينا أن نوفر موارد كافية لكل أمة لمواجهة مطالب تقدمها وذلك لكي نجعل من الميسور لجميع المواطنين السير نحو رفع مستوى المعيشة ولتنشيط القوى الإنشائية وللمساعدة على الابتكار" .

أدرك الرجال المسؤولون فى الدول العظمى أن زيادة الإنتاج، لن تقوم وحدها كوسيلة، ولن تعتبر حلا لمشاكل العالم الاقتصادية — فالوسائل العلمية الحديثة وحسن توزيع المواد الخام ستكفل زيادة الإنتاج — إنما المشكلة الأساسية هى مشكلة توزيع المنتجات، وبعبارة أخرى هى مشكلة تنظيم توزيع الإنتاج العالمى توزيعا عادلا .

أدركوا أن هذه هى المشكلة الأساسية، وفكروا فى حلها طويلا ثم انتهوا الى رأى يسرنى أن أسجله على لسان وزير مسؤول فى الحكومة البريطانية وهو وزير التعمير، أثبته فى تقرير قدمه للبرلمان الانجليزى — جاء فيه أن الدول التى تعتمد على صادراتها وبخاصة التى تعتمد الى حد كبير مثلنا على إصدار البضائع المصنوعة ذات النوع الجيد هى فى حاجة الى أن تكون أسواقها الخارجية فى حالة رخاء — ولن يتحقق هذا الأمر بغير التعاون الوثيق بين الأمم — ومن ثم كان من ألزم واجبات الحكومة نحو سياسة العمل أن تتعاون تعاونا فعالا مع الأمم الأخرى لتحقيق غرضين : أولهما — إعادة الاستقرار الاقتصادى الذى أعقب هزات الحرب واضطراباتها، وثانيهما — توسيع نطاق التجارة باطراد، وأن ترقية وسائل الاستغلال الكامل لموارد العالم البشرية والمادية التى تبنى على أساس خطط اجتماعية واقتصادية سليمة . هى الشرط الأول لتحقيق زيادة مطردة فى الانتاج وقوة الشراء كليهما، وأن تقدم الشعوب صوب مستوى أرقى فى المعيشة يعين على حل مشاكل اقتصادية عديدة — ولن يتم التحرر من العوز والحاجة بغير تعاون وثيق بين الشعوب .

هذا رأى وزير مسؤول أعلنه فى صراحة وأثبته فى تقرير مطبوع وزع فى أنحاء العالم، ومنه يتضح أن رفع مستوى المعيشة فى الشعوب ، يعين على حل مشاكل اقتصادية كثيرة لأنه يساعد على إيجاد أسواق ترتفع فيها قوة الشراء .

ومعنى ذلك : أن الأسواق التجارية فى مختلف الأمم تزداد قيمتها بارتفاع مستوى المعيشة بين أفرادها ، وبالتالى فسيكون من واجب الدول العظمى، ذات الإنتاج الضخم أن تسعى جهدها لرفع مستوى المعيشة فى الشعوب التى تتعامل وإياها، لا خدمة للانسانية فحسب ، بل سعيا وراء مصلحتها الخاصة كذلك . وإن لم تعمل ذلك قل استهلاك الفرد لقلة موارده وضعفت قوته الشرائية ، ونتج عن ذلك هبوط مستوى معيشته .

من هذا ترون حضراتكم قيمة العامل الاقتصادى فى جعل رفع مستوى المعيشة فى الشعوب مسألة دولية .

وهذا هو العامل الثانى — أما العامل الثالث فهو العامل السياسى :

أثبتت الحرب الحالية ، كما أثبتت الحرب الماضية ، أن دولة بمفردها لا يمكنها أن ترد عن نفسها اعتداء خارجيا مادام فى العالم أمم سياستها التهديد والاستعداد الحربى لانتهاك حرمات الدول الأخرى . وأن الدفاع عن سلامة الدولة لا يمكن أن يكون إلا عن طريق

تحالفها مع دول أخرى ، ذلك لأن الدول المحبة للسلام لا تحتفظ عادة بقوة حربية كبيرة للحافظة على سلامتها — ولا ترغب هذه الدول عادة فى تخصيص أهم مواردها للأعمال العسكرية ، لما ينتج عن ذلك من شل لإنتاجها .

ولقد انقضى العهد الذى كانت فيه العزلة ضمانا لسلامة الدولة — فلا العقبات الطبيعية ولا الصناعية أمكنها أن تقف حائلا دون وقوع الاعتداء — وقد قصرت المسافات — بل تلاشت — إزاء الاختراعات الحديثة التى كادت تسبق الصوت فى سرعته ، والتى مكنت الدول من نقل جيوش بأكملها عبر المحيطات والبحار والجبال فى أقصر وقت .

أدركت الدول العظمى ذلك فأعلنت مواثيقها أنها لا تطمع فى توسع أقليمى أو فى إحداث تعديلات إقليمية لا ترضاها الدول بمحض إرادتها وكامل حريتها — كما جاء فى ميثاق الاطلنطى .

وإذا كان بعض الكتاب يعزو هذا الاتجاه الخير الى تكافؤ القوى بين الدول العظمى وشعور كل منها بأنه قد أصبح من المتعذر أن تتصرف على حدة كيف شاءت فى مصير الأمم — لأن باقى الدول لن تسمح لها بذلك — لو صح هذا الزعم فانه لا يغير من النتيجة شيئا .

تلك النتيجة هى أن نزعة الاستعمار والرغبة فيه قد تقلصت لدى الدول الكبيرة ، وصح منها العزم على العمل لتحقيق التعاون بينها وبين الشعوب عن طريق المصالح المشتركة .

ولا شك أن هذا الأمر يعتبر حدثا سياسيا فى تاريخ العلاقات الدولية كما يعتبر فى نفس الوقت نضجا فى التفكير الإنسانى ، واتجاها جديدا من الأمم نحو الصواب . فلقد كانت سياسة الاستعمار هى السبب فى وقوع النفور بين الدول ، سواء بين الدولة المستعمرة والدولة المستعمرة أو بين المستعمرين أنفسهم .

ولا شك أن النتيجة الطبيعية لهذا الاتجاه الجديد فى السياسة ، هى حصول كثير من الأمم — التى أثبتت أن لها كيانا خاصا وقدرة على القيام بمسؤولياتها — على استقلالها وتمتعها بكافة الحقوق الدولية ، كما أن من نتيجته بالنسبة للدول الأقل شأنا فى هذه النواحى تخفيف الوسائل الاستعمارية التى كانت تستعمل عادة . ومن المعلوم لنا جميعا أن الأمم المستعمرة كثيرا ما رأت أن سياسة الاحتفاظ بمستوى منخفض من المعيشة فى الشعوب هى السياسة الرشيدة ، لأن فيها خير ضمان لعدم قيام هذه الشعوب للمطالبة بحقوقها السياسية والاجتماعية والاقتصادية — وفى هذا السبيل ذهبت بعض الدول مذاهب شتى واستخدمت أحيانا من الوسائل ما لا ينطبق على أبسط مبادئ الانسانية .

أما وقد أخذت الدول العظمى تتجه اتجاها جديدا نحو هذه المبادئ الأنسانية ، فلجزء كبير من العالم أن يأمل فى حياة أكثر رغدا وأعلى مستوى من حياته الحالية ، بفضل ما ستبذله هذه الدول من مساعدة وارشاد فى هذا السبيل .

سيداتى سادتى :

هذه هى العوامل الثلاثة — فى نظرى — التى سيكون لها أكبر الأثر وأعظم الفضل فى جعل مسألة رفع مستوى المعيشة فى الشعوب مسألة دولية ، وهى أولا : العامل النفسانى ، وثانيا : العامل الاقتصادى ، وثالثا : العامل السياسى .

بقى علينا أن نذكر الوسائل التى تستعمل لتحقيق هـذا الغرض الأسمى — ولما كنا مقيدين بوقت محدود ، فانى أستميحكم عذرا اذا ذكرت الوسيلة مع تعليق موجز كلما أمكن ذلك .

تنقسم وسائل رفع مستوى المعيشة فى شعب ما الى نوعين :

وسائل خارجية ، وأخرى داخلية ، وبعبارة أدق وسائل دولية ، وأخرى قومية :

الوسائل الخارجية أو الدولية :

إن النصر الحاسم الذى ستظفر به الأمم المتحدة ، والذى بدت بشائره وظهرت أماراته ، سيجعل من الميسور اقامة نظام عالمى أفضل من النظام الحالى — نظام يحقق للانسانية ما هى فى حاجة اليه من حرية وأمن ورخاء وتحرر من العوز والمرض والخوف .

فبمجرد انتهاء هذه الحرب ستتجه الجهود الدولية أول ما تتجه الى مد يد المساعدة الى الشعوب التى اجتاحتها الجيوش — الى الشعوب التى فقدت المأوى والغذاء الصالح — الى الشعوب التى ذاقت أنواع الحرمان طوال سنى هذه الحرب — وهذه المساعدة هى بمثابة إسعاف سريع لتوفير الغذاء والكساء والعلاج — وهذا الواجب الانسانى هو الذى حدا بالأمم المتحدة الى وضع نظام المساعدة والتعمير — ذلك النظام الذى وضعته الأمم المتحدة فى واشنطون فى يناير سنة ١٩٤٢ والذى يقضى بأنه على أثر تحرير كل منطقة يتلقى أهلها فى الحال المعونة والمساعدة لتخفيف آلامهم واسعافهم بالطعام واللباس والمأوى والعمل على منع انتشار الأوبئة . . . ومد يد المساعدة لاستئناف الانتاج الزراعى والصناعى الذى تدعو اليه الحاجة ، واعادة المرافق الجوهرية ، وقد اتفقت جميع الدول المتحدة على أن تتعاون وتشترك فى أعمال المساعدة والتعمير كل على حسب مواردها الخاصة .

وبعد الانتهاء من هذه المهمة الشاقة — وربما فى أثناء القيام بها — سترى الأمم المتحدة من واجبها عدم اغفال حالة الشعوب التى تأثرت مواردها من جراء هذا الحرب التى حرمتها من المواد الأولية اللازمة فى الصناعة أو من المخصبات والبذور والآلات اللازمة فى الزراعة ، وهذه الشعوب تحتاج الى معونة سريعة لتخفيف وطأة هذا الحرمان ، ولتحسين الانتاج وزيادته لتزويد العالم بما يحتاجه من مواد غذائية وأطعمة ومنتجات — وهذا الاجراء هو نوع من أنواع الاسعاف وان أنه يأتى فى المرتبة الثانية .

ويلحق بما تقدم ولا ينفصل عنه وجوب المبادرة الى وضع الأسس الفعالة لتثبيت النقد والقضاء على كل تلاعب يسبب هزات اقتصادية مفتعلة تؤثر فى الأسواق أسوأ تأثير، وأظنكم قد سمعتم الشيء الكثير عن المشروعين المعدين للتغلب على هذه المشكلة وأعنى بهما المشروع البريطانى المعروف باسم مشروع "كينز"، والمشروع الأمريكى المعروف باسم مشروع "وايت"، وكلا المشروعين وان اختلفا فى بعض التفاصيل إلا انهما قد اتفقا على وجوب إنشاء هيئة دولية يكون لها السيطرة التامة على المبادلات المالية فى العالم — ولقد اجتمع مؤتمر النقد الدولى منذ شهور للوصول الى حل فى هذا الشأن، وقرر فيما قرره وجوب إنشاء مؤسسة "رأس المال الدولية" مع تزويدها بالسلطة والموارد الكافية، للاضطلاع بما يعهد اليها من مهام .

سيداتى وسادتى :

بعد أن تنتهى الدول المتحدة من اتخاذ الاجراءات الأولية التى ذكرتها، والتى هى بمثابة اسعافات ضرورية للعالم، سوف تجد من واجبها وضع أسس وقواعد وبرامج لتنظيم الحياة فى ظل سلام يكفل لجميع الشعوب أن تكون — على حد ما ذكر — فى ميثاق الأطلنطى آمنة فى كافة البلاد، ولا شك أن التحرر من العوز واطراد التقدم الاقتصادى وما يتبع ذلك من رفع مستوى المعيشة فى الأمم، يستدعى التعاون التام بين الدول لتحقيق عدة أمور .

أولها الامن الدولى :

لن يتحقق التعاون الاقتصادى بين الدول إلا اذا اطمأنت كل دولة على سلامتها من الغزو الأجنبى — وكل ما يوضع من مشروعات وبرامج اقتصادية لزيادة الانتاج الزراعى أو الصناعى لن يكون نصيبه النجاح إلا اذا أمنت بعض الدول شر بعضها واستخدمت مواردها لخير الانسان ورفع مستواه المعيشى فى جميع أنحاء العالم — أما استمرار الخوف من الاعتداء فانه سيدفع الدول الى استخدام الأيدى العاملة والموارد الطبيعية وصرف الأموال الطائلة على التسلح والاستعداد لدفع الاعتداء إذا وقع، وبهذا تنصرف الدول عن العمل المثمر ورفع مستوى المعيشة الى العمل لاعداد أدوات الهلاك دون اهتمام بالانسان أو مستوى معيشته — وقد كان تحقيق هذه الغاية هو الهدف الأساسى فى مؤتمر "دمبرتون أوكس" وسيكون كذلك فى مؤتمر سان "فرنسسكو" المزمع عقده فى الشهر القادم ان شاء الله .

أما ثانى هذه الواجبات فهو رسم سياسة اقتصادية جديدة :

على الأمم المتحدة أن تسعى لوضع الأسس اللازمة لقيام حالة من الاستقرار فى العلاقات الاقتصادية بين الشعوب ؛ وذلك لنتفادى ما سبق أن وقعنا فيه من أخطاء عقب الحرب الماضية عند ما عمدت الدول الى اقامة سياج من الحواجز الجمركية، مما أدى الى حالة

من الكساد شملت العالم كله، ومما كان له أسوأ الأثر في الاستهلاك العالمي، فقد تكدست المواد الغذائية والبضائع لدى بعض الدول في حين عاش ملايين من البشر محرومين منها بسبب الحواجز الجمركية التي كانت متقامة بين الدول كحوائط شاهقة يستحيل تخطيها .

ويرتبط بموضوع السياسة الجمركية موضوع المواد الأولية وتوزيعها توزيعا عادلا يضمن تحقيق رخاء العالم ورفع مستواه، كما يجنب الدول ذلك التطاحن والتزاع المستمرين، ولما كانت الولايات المتحدة وبريطانيا تتحكمان في أكبر جزء من موارد المواد الخام في العالم — من معدنية وزراعية — فان في وسعهما أن يقدما أكبر مساعدة لحل هذه المشكلة.

كما يرتبط بمسألة الحواجز الجمركية والمواد الأولية أمر آخر غاية في الأهمية، كثيرا ما جر على الانسانية أعظم المصائب وأقسى ضروب الحرمان، وأعني به المعاهدات التجارية ذات الطابع القومي — تلك المعاهدات التي تمنح لدولة ما سلسلة من المزايا والفرص الخاصة كثيرا ما تؤدي إلى الاحتكار وشل مرافق الإنتاج الصناعي في الدول التي ليست طرفا في هذه المعاهدة — ولما كان من أغراض الأمم المتحدة أن تستغل الدول أقصى طاقتها الزراعية والصناعية، لمد العالم بما يحتاجه، وللقضاء على العوز بكافة صوره، فان من ألزم الأمور أن تبادر الدول إلى القضاء على هذه السياسة قضاء لا بعث بعده .

وثالث الواجبات الدولية لرفع مستوى المعيشة هو التعاون بكافة أنواعه:

التعاون الفكري أو العلمي بتبادل الآراء للوصول إلى خير السبل لزيادة الإنتاج وحسن توزيع ما ينتج، وذلك عن طريق تكوين هيئات دولية دائمة لوضع أحسن القواعد التي يحسن اتباعها، ولتزويد الدول بالآراء والبحوث الفنية في الصناعة والزراعة، وتبادل المعلومات والتقارير، والأستعانة بالخبراء الفنيين في مساعدة الأمم الناشئة، وتقديم الإرشادات لها .

والتعاون المادي لمد الدول بالآلات اللازمة للنهوض بانتاجها وزيادته. وبالمخترعات والمبتكرات الحديثة، دون إرهاقها بأثمان باهظة، أو استغلالها بفوائد مرتفعة .

ويلحق بذلك — بل يفوقه — أهمية واجب مد الدول الصغيرة بما تحتاجه من مستحضرات طبية وإرشادات صحية، وخاصة إذا نزل بها وباء هدد غيرها من الدول .

ومن الواجبات الدولية كذلك بذل المعونة المالية عن طريق الإقراض أو الاشتراك في التأسيس، كلما طلبت الدول الصغيرة ذلك، واقتنعت الدول الكبيرة بنفع المشروع وفوائده.

هذه هي أهم الوسائل التي يجب علينا أن نسعى لتحقيقها اذا أردنا أن نعيش سعداء في عالم آمن .

بقيت الوسائل الداخلية أو القومية، وأقصد بها واجبات كل دولة للنهوض بنصيبها في وضع دعائم العالم الجديد، فمن غير الجائز أن نفترض أن عبء رفع مستوى المعيشة في الشعوب ملقى بأكمله على كاهل الهيئات الدولية وأن الدولة معفاة من كل واجب في هذا الشأن بل الواقع أن عليها واجبات هامة :

أولها — تنشيط الانتاج :

إن كل أمة تريد أن تحقق مستوى معيشيا رفيعا لأبنائها ، لا بد أن تستغل كافة الأساليب العلمية التى تزيد فى قدرة النشاط الاقتصادى للشعب حتى يصبح قادرا على الانتاج الوافر ليستمتع بحياة أرقى ومعيشة أكمل .

إن براعة الدول فى اختيار أنسب الوسائل وأحسن الطرق المؤدية الى تنظيم قوى أبنائها وحسن استغلال مواردها الطبيعية وثروتها المعدنية ، يعتبر السبب الأول لتمتعها بحياة الرخاء. والأساس الأصلح لأقامة صرح هذه الحياة السعيدة فى العالم .

إن انشاء الصناعات الصغيرة يعتبر من أهم العوامل لتنشيط روح الصناعة والتجارة فى الشعب ، مما ينتج عنه زيادة الدخل القومى ، فارتفاع قوة الشراء التى تستتبع حتما رفع مستوى المعيشة فيه ، ومن الثابت أن الشعوب التى تعيش من موارد صناعاتها — من الواجب عليها أن يعمل كل شعب على وجود صناعات تتفق وموارده الطبيعية وما تغله أرضه من منتجات .

فعلى الأمم أن تستغل كل شبر فى أرضها وكل معدن فى تربتها وكل مورد طبيعى لها — عليها أن تستصلح الأراضى وأن تزيد فى خصبها وأن تبحث عن المعادن لاستخراجها والانتفاع بها ، وأن تستغل مواردها الطبيعية من مائية وحيوانية لتوفير العمل للجميع وتزويد العالم بما يحتاجه من مواد أولية وغذاء .

الواجب الثانى — على الدولة " العناية بالصحة العامة " :

إن وضع برامج صحية للقضاء على الأمراض المتوطنة لمن أهم واجبات الدول — فان هذه الأمراض فوق فتكها بآلاف الأنفس تقلل من قدرة الفرد على العمل ، و بالتالى تنقص من انتاجه فيقل دخله ويهبط مستوى معيشته ، كما أن المريض بمرض معد ينقل العدوى الى الأصحاء من أفراد الشعب ، وكثيرا ما تنتقل الأمراض من دولة الى أخرى مما يسبب قلة الانتاج فى العالم ، وهبوط مستوى المعيشة فيه .

فعلى الدولة — وقد سبق الاشارة أنه واجب دولى كذلك — أن توفر وسائل العلاج للطبقات الفقيرة ، وذلك بانشاء المستشفيات والعيادات المجانية وتوزيع الدواء .

ويرتبط بتوفير العلاج والدواء توفير الغذاء والكساء ، فمن الثابت أن الأجسام التى تنال قسطها من الغذاء أكثر مقاومة للمرض من غيرها — كما أن الكساء كثيرا ما يقى الانسان من أمراض كثيرة أو على الأقل يخفف أثر المرض فيه ، كما شاهدنا ذلك فى مرض الملاريا الذى اجتاح أعالى الصعيد فى السنوات الأخيرة .

ولست فى حاجة الى القول بأن العامل أو الزارع اذا ما توفر له الغذاء الكافى زاد انتاجه وكان أكثر اتقانا لعمله — وزيادة الانتاج ورقى نوعه يعود ان عليه وعلى صاحب العمل بالفائدة لزيادة دخل كل منهما، وبالتالى رفع مستوى معيشتهما . لذلك كان من أهم واجبات الدولة أن تضع مناسيب عادلة لاستهلاك الاغذية بين طبقات الشعب وخاصة الطبقة العاملة والفقيرة .

الواجب الثالث — على الدولة "وضع برامج جديدة لتعليم النشء" :

لقد كان تعاون الامم المتحدة فى هذه الحرب متينا وقويا الى حد لم يسبق له مثيل فى تاريخ العالم ، لقد تناسى الجميع ما بينهم من فوارق فى الجنس أو اللون أو اللغة أو الدين وانصرفوا بكل قواهم لتحقيق غرض واحد هو النصر .

فمن واجبنا أن نتعهد هذا الشعور ونرعاه وألا نألو جهدا فى تمينه وتقويته .

وعلينا أن نعلم الشباب فى معاهدنا أن الإنسان إنسان حيثما كان ، له حقوق يجب أن ترعى وأن تصان ، وأن لا فضل لجنس على جنس الا بالعمل لخير الانسان .

هذه هى أهم الواجبات التى تضطلع بها الدولة لكى تساهم فى بناء العالم الجديد، وتصبح عضوا نافعا فى هذا المجتمع ولكى تحقق ما تصبو اليه جميعا من حياة هادئة سعيدة .

سيداتى وساداتى :

لا شك أنها روح طيبة ، هذه الروح التى أملت على زعماء العالم وقادة الرأى فيه، تلك المبادئ الانسانية السامية التى تجلى فيها قرروا من قواعد، وما عقدوا من اتفاقات، وما رسموا للمستقبل من خطط تهدف كلها الى إيجاد عالم خير من هذا العالم ، يسوده السلام والطمأنينة وينعم الناس فيه بالحرية والعدل، وتتاح لهم فرص الحياة الطيبة والتحرر من العوز والخوف . وكل هذا حسن وجميل ويبشر بخير كثير .

ولكن العالم قد رأى من قبل وعودا تبذل فلا تلبث أن تتبخر فى الهواء، وخططا ترسم ثم تعصف بها الأهواء، وعهودا تفسر لصالح الأقوياء دون الضعفاء، إن العالم وقد عرف كل ذلك ودفع فى سبيل هذه المعرفة ثمنا غاليا من أمان مضيعة وحقوق مغتصبة ومن حرب طاحنة كادت تذهب بالأخضر واليابس ، واصطلى بنارها المحارب والمحايد بعد فترة من الزمن ظل فيها كابوس الحرب جاثما على الصدور يروع الشعوب ويقض مضاجعها حتى تمنت أن تجد مخرجا من التهديد بالحرب ولو الى الحرب ، إن العالم وقد عرف كل ذلك لم

يعد تقنعه الأقوال تناقضها الأفعال ، ولا المعاهدات يضعف أحكامها التفسير والتأويل ، ولا المبادئ يذهب باثرها التعديل والتبديل ، وأن يرضيه الا النية الصادقة والعدالة المطلقة يسودان كل ما يبرم من عهود ومواثيق ، وما يوضع من مبادئ وخطط لا فرق بين الغرب والشرق أو بين الكبير والصغير والقوى والضعيف .

ولا شك أن من يمن الطالع أن الذين أخذوا على عاتقهم مسئولية تنظيم السلم وأقامته على دعائم ثابتة ، هم طائفة من العباقرة الأفذاذ الذين قل أن وجد مثلهم فى جيل واحد ، يشهد لهم بذلك ما أبدوا من نافذ البصيرة ، وما صحبهم من توفيق فى حل مشاكل الحرب ، وكل ما اتصل من شؤون السياسة والاجتماع والاقتصاد ، مما يبشر بطلوع فجر جديد يفيض على الانسانية نورا ساطعا وبركة شاملة إن شاء الله .

دائما على حال واحدة لأن أمثالى لا يتغيرون .

(نابليون)

انى وسيفى بجانبى ، وإلياذة هوميروس بين يدى ، أستطيع أن أخوض غمار الحياة وأفوز فى معتركها .

(نابليون)

طفولة الانسانية [1]

للكاتب الكبير الأستاذ عباس محمود العقاد

حضرات السادة والسيدات

أتحدث إلى حضراتكم الليلة عن طفولة الانسانية ، ولا أعنى بطفولة الانسانيـة تلك السن الباكرة التى مررنا بها جميعا فى مطلع حياتنا ، ولا بأطفال الانسانيـة تلك المخلوقات الصغيرة التى نراها كل يوم فى بيوتنا أو حول بيوتنا .

وإنمـا أعنى تلك الطفولة التى تلازم الانسان إلى ما بعـد الكهولة والشيخوخة ، بل تلازمه حتى يفارق الحياة ، وهى طفولة الروح أو طفولة الأخلاق .

ولكننا لا نستغنى عن الكلام فى طفولة السـن حين نتكلم فى طفولة الروح ، لأن الطفولتين تتشابهان فى خصلة واحدة، وهى أنهما تساقان إلى الخير بجزاء و إغراء ، وتدفعان عن الشر بجزاء و إغراء .

فالطفل سناً لا يتناول الدواء الذى يشفيه إلا إذا وعدته باللعبـة وقدمت له الحلوى ، ولا يمتنع عن الخطأ الذى يضيره ويسقمه إلا إذا لوحت له بالعصا أو الحرمان .

وكذلك الطفل روحا وخلقا تقوده إلى الفضـيلة بوعد وتذوده عن الرذيلة بوعيد ، ولو كان رجلا فى الروح والخلق لما احتاج إلى الوعد والوعيد .

طفل السن يلهب الرمد عينيـه وتريه القطرة التى تشفيه وتخفف الألم عنـه ، فيأباها ويصر على إبائها ، أو تبذل له المكافأة وتمنيه بالفرجة والمكافأة الحسنة .

ولكنه يصبح رجلا فيسعى إلى الطبيب بقدميه إذا رمدت عيناه ، ويبذل ثمن القطرة من ماله عن رضى وارتياح ، ولا يحتاج إلى أمر ولا وعد بجزاء .

وطفل السن تضنيه الحمى وتنهاه عن مفارقة الحجرة فلا يرضى ولا يصيخ إلى النصيحة وهو قادر على مخالفتها، ولا تزال به حتى تزين له الاعتكاف فى المنزل بالألاعيب التى تبثها من حوله والعلالات التى تعلل بها خياله وتشغل بها فراغ وقته عن التفكير فى اللعب والخروج .

ولكنه يصبح رجلا فيعتكف مختـارا ويغضب على من يفتح النافذة عليـه فى حجرته فضلا عن الخروج من الدار .

---

(١) نص الحديث الذى أذيع من محطة الاذاعة اللاسلكية .

فعمل المفيد النافع بجزاء هو الطفولة ، والامتناع عن الضرر الوبيل بجزاء هو الطفولة ، وقد ترى الرجل فى الخمسين أو الستين أو السبعين وهو طفل بهذا المعنى فى الحالتين .

أليس طفلا بهذا المعنى ذلك الرجل الذى لا يفعل الحسن الجميل إلا وهو ينتظر الأجر عليه ؟ ولا ينتهى عن العيب الذميم ألا وهو يخشى ما وراءه من عقاب ؟

أليس طفلا ذلك الرجل الذى يطلب المآثر لأرباحها وغنائها ولا يطلبها لذاتها ؟

أليس طفلا ذلك الرجل الذى ينتهى عن النقص لأنه مهدد بالعاقبة السيئة ولا ينتهى عنه لأن الكمال خير من النقص ، ولأنه بغيض اليه أن يرضى بأسوأ الحالتين وأبخس الصفقتين ؟

إن الرجل الذى يقال له كن قويا لتصرع الأسود وتغلب الجبابرة وتكافح الأمراض ، لا يسألنا : وما جزائى على ذلك ... ؟ فلماذا يسألنا الجزاء اذا قلنا له : كن قويا لتصرع الشهوات والمطامع وتنهض بالفروض والعظائم ، وتقدر على المطلب الجسيم الذى يعجز عنه الآخرون ؟

إن الذى يترك الطعام الغث ليأكل الطعام المفيد لا ينتظر الجزاء على ما ترك أو على ما اختار ، فلماذا ينتظر الجزاء على اختيار المروءة وترك النذالة ، أو على اختيار الشرف وترك الضعة والخمول ؟

إنه يشترى الحرير بالثمن الغالى ويترك الكرابيس وان عرضت عليه بالثمن الرخيص ، فلماذا ينتقل إلى سوق المحامد والفضائل فيأخذ الحرير وهو ينتظر المكافأة على أخذه ؟ ويترك الكرابيس وهو ينتظر المكافأة على تركها والأنفة منها ؟

إنه لا يفعل ذلك إلا لسبب واحد : وهو أنه طفل الروح والأخلاق ، لا يميز بين الحسن والقبيح ، ولا يعرف النافع والضار ، ولا يدرى الذى هو أدنى والذى هو خير ، ولو درى ذلك لترك الأدنى لأنه أدنى وكفى ، وفعل الخير لأنه خير وكفى ، وكذلك يفعل الرجال كل يوم ، حين يميزون بين الغالى والرخيص ، و بين الحسن والقبيح ، و بين الرفيع والوضيع .

إنهم يطلبون الرفيع ويبذلون الثمن العزيز فيه ، ولا يطلبون الرفيع وينتظرون من يكافئهم على أخذه كما يصنع الأطفال : أطفال الروح والأخلاق .

وهنا يخطر على البال ذكر الثناء .

فيخيل إلى الأكثرين أن المرء مطالب باختيار المآثر لأنها تجلب له الثناء ، ومطالب باتقاء المعائب لأنها تعرضه للندم وسوء المقال .

وفى هذا الخاطر شيء كثير من الصدق والتعبير عن الواقع ، ولكننا إذا اكتفينا به لم يرتفع بنا كثيرا عن طفولة الروح والأخلاق .

لأن الثناء يأتى من ألسنة الناس ، وألسنة الناس لا تقول الحق فى كل حين ، بل الناس أنفسهم لا يعرفون الحق فى كل حين ، ولا يعرفون على الدوام ما هو جدير بالحمد وما هو خليق بالمذمة والانكار .

وقد ينعكس الأمر عندهم فيذمون الحميد ، ويحمدون الذميم .

وآية الناصح الأمين أنه يعلم الناس ما يعلمون ، وأنه يهديهم إلى الخصال التى يغفلون عنها ، ويحذرهم من العيوب والأخطاء التى يقعون فيها ، ولولا ذلك لما كان للناجحين الأمناء من عمل ، ولا كان للنوابغ المتقدمين على أزمانهم من ضرورة ولا منفعة .

فإذا اقتصر الرجل على ما يحمده الناس وما يذمونه لم يتقدم الناس ، ولم يكن لذلك الرجل من فضل عليهم ، ولا من أثر مشكور فى إصلاح شؤونهم وتبديل أحوالهم .

وإنما عليه أن يدعو الى الأفضل الأكمل وان ذموه ، وأن ينهاهم عن الأسوأ الأخس وان أحبوه ، وليس فى وسعه أن يفعل غير ذلك ان كان حقا على إيمان وثيق بما يراه ، وشعور عميق بما يدعو اليه .

إن الرجل الذى يستطيب النظر الى الحدائق والبساتين وينفر من الجلوس الى المستنقعات والبؤر الموبوءة لا يفعل ذلك لأن الناس يحمدونه أو يذمونه ، ولا لأنهم يرضون عنه أو يسخطون عليه ، فانه ليحب النظر الى الحدائق والبساتين وإن ذموه ، ويكره النظر الى المستنقعات والبؤر وإن شكروه .

كذلك يصنع الرجل الذى يسمو به الذوق ويملو به الروح حتى يدرك الفارق بين المنظر الجميل والمنظر القبيح ، إنه لينظر هنا أيضا الى الحديقة المزهرة وإن لم يغنم ثناء من ألسنة الناس ، وانه ليمرض هنا أيضا عن البؤرة الكريهة وان ساقته اليها ألسنة الناس ، لأنه يحتمل الأذى فى سبيل المتعة بالجمال ويحتمل الأدنى فى سبيل البعد عن القبح والدمامة ، وجزاؤه على ذلك أنه يرى الجمال ولا يرى القبح والدمامة ، وليس جزاؤه ما يقال أو ما لا يقال .

تلك هى رجولة الروح والأخلاق . وأما ما دونها فهو طفولة الانسانية التى تحتمل الرمد ولا تحتمل القطرة ، والتى تتداوى من الرمد بأجر ووعد ، وتقبل القطرة بأجر ووعد ، ولن تزال كذلك حتى تبلغ مبلغ الرجال .

* * *

حضرات السدة والسيدات

بل رحولة الروح والأخلاق هى أرقى ما ترتقى اليه الانسانية فى معارج الجمال .

وقد قال أبو العلاء :

ولتفعل النفس الجميل لأنه خير وأجمل لا لأجل ثوابه

وهكذا ينبغى أن يفعل كل إنسان تجاوز مرتبة الطفولة الى مرتبة النضج والكمال .

ينبغى أن يرتفع الانسان لأن الرفعة جميلة فى عينيه ، ولأن النفس مؤلمة لنفسه ، وكذلك يفعل كل إنسان فى المحسوسات كل يوم وكل ليلة ، فيأكل الشهى لأنه يحب مذاقه ، ويلبس الجميل لأنه يعجب بحسنه ، وينبذ المطعم الكريه لأنه لا يستطعمه ، ويعرض عن الملبس الزرى لأنه يأنف منه ، وليس لسبب غير هذا وذاك .

وإنما ترتقى الأمم والأفراد إلى هذه الدرجة الرفيعة حين ترتقى فى التمييز بين الأخلاق والأذواق كما تميز بين المحسوسات من المأكول والملبوس .

عندئذ يسهل الإصلاح فى الأمة ، ويسهل على المصلح أن يصلح منها إلى مواضع الاقناع .

فالأمم فى هذه الخصلة قسمان : أمم الأطفال وأمم الرجال :

أمم الأطفال هى الأمم التى تعودت أن تطلب الجزاء وراء كل نصيحة ، فاذا قام فيها المصلح الأمين شكت فيه ولم تفهم ما يريده إلا إذا وقع فى روعها أنه ينتظر الجزاء فى الدنيا والآخرة ، إما بالثناء وإما بجنات النعيم ، وهى تفهمه إذن على قدر ما تتصور من جزائه وجزائها ، لا على قدر الكمال الذى يدعو إليه ولا على قدر التمييز بين الصواب والخطأ وبين الرجولة والطفولة .

أما الأمم التى ارتفعت فى مراتب الرجولة فهى لا تستريب فى المصلح الأمين لأنها تجهل فائدته وجزاءه ، ولا يهمها إلا أن تميز كلامه لتعرف موقع الصواب فيه ، فاذا كان صوابا اتبعته وإن كان عظيم الكلفة عليها ، وإذا كان خطأ أنكرته وإن كان محببا إليها وميسورا لديها . كما يفعل طالب الصحة حين يميز بين الطبيب الصادق والطبيب الكاذب ، فيصغى إلى الطبيب الصادق وإن أمره بترك اللذيذ من الطعام وشرب الكريه من الدواء ، ويعرض عن الطبيب الكاذب وإن وصف له ما يرضيه ودله عليه فى حقيقة ما يشكوه .

والعبرة فى كل حال بالتمييز .

فلم نخطئ فى وصف الرجولة بأنها سن التمييز ، لأن الخطوة الأولى فى سبيل الاختيار الصحيح هى تمييز الفاضل من المفضول والراجح من المرجوح ، ثم تأتى الخطوة التالية و هى الأخذ بالراجح و إن صعب الأخذ به ، وترك المرجوح و إن تيسر الحصول عليه .

وكذلك رجولة الانسانية هى فى الواقع درجة التمييز بين الكمال والنقص مع غض النظر عن المكافأة والعقاب ، فمن ميز الكمال والنقص طلب الكمال و إن خسر فى سبيله ، وترك النقص و إن ربح من ورائه ، ولم يجد غرابة فى هذا وذاك ، ولم يساوره الندم بعد هذا وذاك .

* * *

حضرات السادة والسيدات

ما دام الإنسانُ يريد الخير فهو ينشده و يبذل فيه ثمنه و إن غلا ، وهو إذن رجل الروح والأخلاق .

وما دام الانسان يراد على الخير فهو لا ينشده إلا إذا عرف الجزاء عليه ، وهو اذن طفل الروح والأخلاق و إن جاوز السبعين والثمانين .

وخير ما نرجوه لهذه الأمة أن تحمل تكاليف الرجولة بغير نظر إلى جزاء ، فذلك فى النهاية هو أوفى الجزاء .

من يكون مبدؤه في الحياة الشرف والخير ، يستطيع أن يتحمل فى سبيلهما المكاره .
(بيتهوفن)

آمال الانسانية*

فى تعاون الدول لرفع المستوى الصحى

لمعالى الأستاذ ابراهيم عبد الهادى وزير الصحة

" لقد خطت الحياة الدولية فى العهد الأخير خطوات أقرب الى اعتبار التعاون الانسانى فى الشؤون الصحية عن ذى قبل ... ومن هذه النقطة يستطيع الباحث أن يستأنف أمله فيما عسى أن تصل اليه الانسانية فى شؤونها الصحية عن طريق التنظيم الدولى المرتقب .

فقد طرأ على المواصلات وسيطرأ عليها تغير كبير بالدور المهم الذى لعبه الطيران خلال الحرب الحالية والذى ينتظر أن يلعبه فى مستقبل أيام السلم ، إذا تصورنا هذا الدور بدت التحوطات الحالية عاجزة الى حد كبير عن الاحتفاظ بدرجة التأمين الصحى التى بلغتها الأمم بقواعد الحجر الصحى الحاضرة ... وإذا كان مقررا أن أدوار المدنية والحضارة العالمية يجب ألا يسد عليها الطريق ببعض التضحيات التى تتعرض لها الأمم، فمن العدالة أن تساهم البلاد التى تستفيد من هذه المخترعات الفوائد المادية الكبرى مساهمة حقيقية فى دفع التضحيات اللازمة لسير الحضارة حتى لا تترك الشعوب الفقيرة تئن تحت أعبائها محيرة بين أن تعرض شعوبها للكوارث الصحية ، أو تعرض مرافقها للحرمان والفقر .

إن التضحيات التى تحملها الدول الصغيرة فتعجزها أو تحد من خطاها فى سبيل حياة شعوبها الصحية والاقتصادية ، بينما هى فى نفس الوقت خط من خطوط الدفاع الصحى عن المدنيات الغربية الفنية النادرة ، يصح لمؤمل أن يرى التنظيم الدولى الحديث متجها الى وضع حل لها على قاعدة عادلة يكون فيه الغنم بالغرم ، إذ أى إصلاح يرجى للمجتمع الانسانى إذا كانت الأمم الصغيرة تحمل كل يوم عبئا جديدا ومغرما جديدا من مغارم المدنية يزيدها أعباءا على أعباء وفقرا على فقر ؟! ليس لهذا على الشعوب الفقيرة من أثر إلا جوع ومرض وفقر، وليس له من شأن على الدول الصناعية الكبرى إلا كساد فى صناعتها لضعف الجماعات الانسانية التى يتكون منها عملاء هذه الشعوب المنتجة !!

أتصور أن التفكير الدولى يتطور إلى دفع مثل هذه الأعباء عن كاهل الدول الصغيرة والشعوب الفقيرة ليعينها على مواجهة مشكلاتها الاجتماعية والاقتصادية والصحية ، وليمهد لنفسه أسواقا أكثر قدرة على شراء منتجاته ، ويذكى هذا الأمل ويقربه الى النفس هذا النداء الذى يتردد فى جوانب المعمورة لكفالة الأمن وتدعيم السلام ، ولا شك أن أقوى كفالات السلام والأمن هو راحة الشعوب المختلفة الى حظها من الحياة ، وليس أدعى إلى اضطرابه من قنوط الجماعات الصغيرة أو الكبيرة ويأسها من التخلص من كوارث

* من محاضرة قيمة ألقاها معاليه فى القاعة الشرقية بجامعة الأمريكية .

أمراضها وفقرها و بؤسها وشعورها بأنها فى مضطرب المجتمع العالمى ليست اكثر من وقود يحترق ليهيئ الدفء للشعوب القادرة الغنية العالية .

ولقد أدرك العلم توفيقا كبيرا فى كشف الكثير من وسائط علاج الأمراض الجائحة ، ولكن هذه المكتشفات العلمية من العقاقير الطبية والنقاحات والأمصال قد استولت عليها يد الاحتكار والاستغلال ، و بالغت فى أسعارها مبالغة أعجزت الكثير من الطبقات الفقيرة فى الشعوب الفقيرة عن الانتفاع بها والوصول اليها ، وكم من نسمات ومن أرواح بشرية ذهبت عاجزة عن العلاج وهى تراه أمامها ، ولو أن هذه الأيدى المسيطرة على إنتاج تلك المواد خففت من غلوائها فى الاستغلال ونزلت إلى مقام معتدل من الربح لدفعت كوارث عن أفراد وأسر ، لانطمع أن ينتج الناس وأن يعطوا كل ما أنتجوا رحمة منهم وإحسانا ، فذلك مقام لم تقرب البشرية منه بعد ، ولكن لعل الفلك قد دار دورته فأقنع الكثيرين بأن الأسعار المعتدلة خاصة فى هذه المواد الصحية تدرك غايتين : غاية تمكن الفقير حكومة أو أفرادا من الانتفاع بهذه المواد فى خدمة الصحة الانسانية ، والغاية الأخرى سعة دائرة انتشارها بسهولة التمكن منها ، وفى ذلك ما يعوض الربح المقدر للتوزيع القليل بالثمن الكبير بل ربما أربى عليه . إنى أقدر أن الحكومات وأعنى حكومات البلاد المنتجة لهذه الأنواع من مواد العلاج سوف تعلن رقابتها على الأفراد والشركات المنتجة لهذه المواد وتوجهها الى هذه الناحية حتى تصل منتجاتها الى كافة ارجاء العالم بأسعار معتدلة يطيقها الفقير كما يطيقها القادر .

ها نحن أولاء نرى المجموعة الدولية تتأدب منذ الآن للقاء واجبها الانسانى نحو تعمير البلاد التى خربتها آلة الحرب استبدرا كما لشعوبها من مآسى التشريد والعوز والمرض ، و إذا كانت الدول قد تحركت مثل هذه الحركة تجاه البلاد البلقانية إثر الحرب الماضية ، فلعل المجموعة الدولية تستمر بعد ذلك فى مجهودها المشترك تجاه انقاذ الشعوب الفقيرة من آلامها الدائمة الماثلة ، فتكون يدها رحمة عامة تغمر من كان ألمه و بؤسه نتيجة لحرب أو نتيجة لفقر

وليس كل الأمر فى المشكلة الصحية امر دواء ، و إنما يقوم الى جانب ذلك وفى مرتبة من الاعتبار لاتقل عنه ، أمر تغذية الشعوب وما ينبغى ، بل ما أتوقع أن تسير نحوه جهود الأمم قاطبة من إخراج مواد الغذاء الأساسية من نطاق الاستغلال والاحتكار المؤدى إلى رفع قيمتها رفعا يعجز الفقير عن استيفاء حاجاته منها ، بل أتوقع فوق ذلك عملا جديا صادقا على الاستكثار منها وتنظيم تبادلها ، فلا يبعد نوع ضرورى منها عن يد طالب فى بلد إنتاج أو فى بلد احتياج .

أتوقع أن يقضى النظام الدولى قضاء تاما على الوسائل القديمة التى بلغت حد إعدام المواد الغذائية لرفع قيمتها فى الأسواق ، وكل هذا الأمل سمحت لنفسى بتقبله وتوقعه بقدر ماصدقت لدى صرخة العالم فى طلب السلم وضمانه .. ".

أنت عظيم ...

لسعادة الدكتور منصور فهمى باشا مدير جامعة " فاروق الأول "

" لكى يكون الانسان عظيما فى نفسه ، فليكن عاملا مؤثرا فى محيطه، وإذا قلت عاملا مؤثرا فانما أعنى أن يكون عاملا للنفع لا للضرر ، أن يكون عاملا للوجود لا للفناء ، أن يكون عاملا للقوة لا للضعف ، أن يكون عاملا للنور لا للظلام .

أتاجر صغير أنت ؟! إذا كنت كذلك وأحسنت القيام بواجب التجارة من الأمانة والصدق ، فأنت عظيم .

أصانع صغير أنت ؟! فإن تعهدت صناعتك بما يرقيها و يحسنها ، و إن استثمرت عملك على ما يقتضيه واجب الاستثمار فأنت عظيم .

أأب أنت ؟! فان عرفت كيف تتعهد أبناءك بالتربية الحسنة، وكيف تكون عطوفا عليهم ، قواما بالواجب نحوهم ، فأنت عظيم .

أما إذا كنت من أصحاب الارادات الكبيرة ، والهمم العالية ، فدفعك واجبك ، فلبته إرادتك وهمتك ، فاستطعت أن تحوّل الجبال سهولا ، والصحارى جنات و بساتين ، وعملت لمصلحة الناس ما يعجز عنه سائر الناس ، فأنت عظيم من درجة عالية ..

إنى أعذر الانسان إذا لم يكن عظيما من درجة عالية ، ولكنى لا أعذره إذا كان غير عظيم مهما قلت وسائله ..

هذه هى العظمة العامة التى ينبغى أن يسمو إليها كل واحد باعتبار انه فرد من المجتمع، ولكنّ هناك صنفا آخر من العظمة يجدر بكل إنسان يريد أن ينتمى لقوم بعينهم أن ينال منها نصيبا ، تلك العظمة هى ما يصح أن نصطلح على تسميته بالعظمة القومية ، إن الأمم التى تنتمى اليها لها حياة أخرى فوق حياة الأفراد، ولأمم حاجات من الرقى غير حاجات الأفراد، ولها مطامع فى الكبرياء والمجد ، فواجبنا إذا أردنا أن نكون عظماء فى نظر أممنا أن نعمل فى بناء مجدها ، ونؤدى اليها الواجبات التى يقتضيها بناء الأمم ورقيها ... »

رفع مستوى معيشة الفلاح

للدكتور أحمد حسين مدير إدارة الفلاح

هدف النشاط الاقتصادى :

الهدف النهائى لكافة أوجه النشاط الاقتصادى هو توفير أقصى ما يمكن من الرفاهية للمجموع كله. فأى نشاط تغفل فيه حقوق ومصلحة المجموع او يترتب عليه إضرار بتلك المصالح يعتبر مختل الأساس مهما أدى الى زيادة فى الإنتاج أو تكديس للثروات فى أيدى القائمين به .

الفلاح والارض :

ولم تخرج الزراعة عن أن تكون نشاطا إنسانيا يقوم على جهد الفلاح فى استغلال الأرض ولا يجوز أن ينقلب فيه الإنسان الى أداة تستغل فى خدمة الأرض فيصير حكمه حكم الماشية والجماد من الآلات. خاضعا لظلم بين فى التوزيع لا يصيب من الدخل الزراعى إلا الفتات .

مكانة الزراعة :

ولم تزل الزراعة — وستستمر الى أجل غير قصير — أهم الصناعات فى العالم فهى التى توفر أهم احتياجات الإنسان وهما الغذاء والكساء وغيرهما من لوازم الحياة ، وذلك بجانب تغذيتها لكثير من الصناعات الأخرى بالمواد الخام .

المشتغلون بالزراعة :

ويشتغل بالزراعة ثلثا سكان العالم وتزيد النسبة عن ذلك لدينا فى مصر .
فهل يجوز والزراع هم الذين ينتجون الغذاء والكساء وهم الكثرة الكبرى من السكان أن تبقى غالبيتهم عاجزة عن الاحتفاظ لنفسها بما يلزم للقيام بأودها ؟

مستوى معيشة الفلاحين :

وهل يجوز أن تبقى الغالبية العظمى من السكان فى مصر وهى التى تمثل المستوى الحقيقى للأمة فى حالتها القائمة تقاسم الماشية تلك المساكن الحقيرة الخالية من كافة وسائل المعيشة والصحة . أن تستمر محرومة من الغذاء اللازم بل حتى من الماء الصالح . ينقصها الكساء والغطاء، مفتقرة الى وسائل العناية الصحية المجدية غارقة فى جهل يحجب كل شعاع من نور. واقعة تحت ظلم اقتصادى يهدم الشعور بالإنسانية والحرية والكرامة ؟

ثروة الامة فى أبنائها :

أليست ثروة الأمة ممثلة أولا وقبل كل شىء فى أبنائها وفى قدرتهم على العمل والإنتاج سواء من ناحية الكم او النوع ؟.. وهل يغنى خصب الموارد شيئا اذا ما تدهور الشعب صحيا

وعقليا وأدبيا ؟. كلا فهناك شعوب متأخرة فقيرة تعيش فى أشتى بقاع الأرض كبعض المناطق الاستوائية. وهناك بلاد فقيرة الموارد الطبيعية برزت الى مقدمة الصفوف كسويسرا واليابان ولم يوصلها الى ما وصلت اليه إلا تقدم الشعب ونشاطه وقدرته .

كلنا نربط آمالنا على تقدم الإنتاج الزراعى والنهوض بالصناعة . أليس الفلاحون هم الذين سيقوم على أكتافهم هذا النشاط ؟ أيمكننا أن ننتظر منهم ذلك الجهد وحالتهم تتدهور عاما بعد عام من جراء حالة المرض والحرمان والجهل والذل التى سبق أن أشرنا اليها بإيجاز إذا أصبحت من الحقائق المسلم بها من الجميع .

إنتاج الفلاح المصرى :

أذكر هنا على سبيل المثال أن الإحصاءات قد أثبتت أن ما ينتجه العامل الزراعى فى أمريكا يزيد عن سبعة امثال ما ينتجه زميله فى مصر وأن ما ينتجه العامل الزراعى الانجليزى يزيد عن خمسة أمثال إنتاج العامل الزراعى المصرى .

فعلاج حالة الفلاحين المصريين علاجا جديا جريئا هو أول ما يجب أن تعنى به الدولة ، ولا يجوز أن يشغلها عنه شاغل . فلا قيمة لزيادة الثروة ما دامت أغلبية السكان تزداد فقرا نتيجة لسوء توزيع الدخل. ولا قيمة للدستور ما دامت تلك الأغلبية محرومة من الحق الأول وهو الحق فى الحياة الانسانية . ولا قيمة حتى للاستقلال ما بقيت تلك الأغلبية مستعبدة اقتصاديا .

وما من زاوية ننظر منها إلى حال الفلاح إلا وتلزمنا بأن نكرس كافة الجهود لها .

مسئولية الدولة :

فمن الناحية الاجتماعية ، لم يعد لنظريات الفردية والحرية الاقتصادية قيمة يعتد بها فى أى مجتمع راق وبخاصة فيما يتصل باستغلال مجهود الإنسان ، وقد حلت محلها نظريات أخرى تقوم على تحقيق العدالة الاجتماعية وتغليب ورعاية صالح المجموع ، وأصبح واجب الدولة الأول ضمان العمل المنتج لكل قادر من أبنائها ، وضمان حصوله على المسكن الصالح والغذاء الصحى والملبس الراقى وغير ذلك من مستلزمات الحياة. ذلك بجانب ما يجب على الدولة توفيره لكل فرد من وسائل الوقاية الصحية والعلاج وفرصة التعليم .

وسنغض النظر الآن عن التأمين الاجتماعى وواجب المجتمع فى رعاية المريض والكهل والمتبطل والأرملة واليتيم . . فهذه المسائل وإن أصبحت من الأوليات المسلم بها إلا أنها تعد بالنسبة لنا ترف لا يتيسر التفكير فيه الآن .

وعلى ذلك فالدولة التى تترك ثلاثة أرباع سكانها يعانون العوز والمرض والجهل والذل تعتبر متخلية عن واجبها الأول ، خصوصا ونحن نتمتع ولله الحمد بالحياة النيابية حيث تختار الحكومة من الشعب تعيش لخدمة الشعب .

قدرة الفلاح فى الانتاج والاستهلاك :

ومن الناحية الاقتصادية ، سبق أن بينا أنه من المستحيل النهوض بالإنتاج الزراعى أو الصناعى ما لم تنهض أولا بمن سيقومون بالعمل المطلوب فى الحقول والمصانع ، والذين سيحدد مستواهم الجسمى والعقلى مدى ومستوى الإنتاج .

هذا كما أن ضآلة دخل الغالبية العظمى من السكان يهبط بقدرتهم الشرائية فيحرم الإنتاج الصناعى والإنتاج الزراعى (الخاص المربح) من سوق التوزيع المحلية التى لا يمكن أن يقوم بدون وجودها . كما تستمر قيمة مصر فى المعاملات الدولية ثانوية بسبب عجزها عن التوسع فى التبادل لضعف قدرتها على التوسع فى الإنتاج أو فى استهلاك المصنوعات الأجنبية التى يتعذر صنعها محليا .

الاعتبارات السياسية :

ومن الناحية السياسية ، فإن المصرى ليحز فيه الألم كلما رأى الأجانب من مختلف الجنسيات وقد تضخم عددهم بسبب القوات التى أقامت وتقيم بمصر إبان الحرب يعجبون كيف يعيش فلاحونا ويشفقون من إهمالهم وانحطاط مستوى معيشتهم ، وهؤلاء هم سواد الشعب الأعظم .

إننا نطالب بحقوقنا كشعب راق محترم متقدم ، وهل أهناك شك أننا يوم نحقق لغالبية الشعب الخدمة الحقة ونرتفع بهم الى المستوى الآدمى اللائق الكريم سيزداد حقنا وضوحا ومطالبتنا قوة وايمانا ، كما يزداد من نطالبهم استعدادا للسماع والاقتناع والتسليم بأحقية مطالبنا ؟.

قدرتنا على التجنيد :

كما أننا يوم نسعى لتكوين جيش قوى كامل سوف تحد حالة الفلاح من قدرتنا على التجنيد ، وتثبت إحصاءات ادارة القرعة أن عدد الصالحين للخدمة لا يتجاوز ٤ عدد المتقدمين ، حتى هذا الثلث ليس سليما وإنما أغلبه قابل للعلاج والشفاء .

مصلحة المنتجين :

ومن الناحية الفردية ، من الواضح أن انتاج الفلاح السليم الجسم المستنير لا بد وأن يتجاوز انتاج الجائع المريض المتأخر . فلن يضار الملاك الزراعيون اذا ما ارتفع أجر العامل بل على العكس سيستفيدون لأن زيادة الانتاج ستتجاوز الزيادة فى الأجر . وقد جربت الجامعة الأمريكية فى مزرعة لها بجوار الأهرام توفير العناية الضرورية المتواضعة لبعض الفلاحين فارتفع انتاج الاثنين فيهم إلى ما يوازى أنتاج خمسة من الفلاحين العاديين .

وسيعود ارتفاع القدرة الشرائية للفلاحين برخاء تام يفيد منه كافة المنتجين .

الاتجاهات الاشتراكية :

وبجانب ذلك لانستطيع أن نتجاهل أن هناك اتجاها عالميا اشتراكيا معتدلا فى بعض البلاد متطرفا فى الأخرى متدرجا حينا انقلابيا حينا آخر. ينمو هذا الاتجاه "الاشتراكى" من وقت طويل وقد ضاعفت الحرب من سرعة نموه . والمنتظر أن يزيد انتهاء الحرب هذا الاتجاه قوة وشيوعا .

ومما يؤسف له أن الكثير ما لا يقدر قوة مثل هذا التطور العالمى أو يوهم نفسه أننا مستطيعون أن نرد أمواجه عن أبوابنا . مع أن عقرب الساعة لا يقف ولن يغير دورته مجاملة لنا .

ونحن فى الوقت نفسه نصم آذاننا عن النداءات العالمية ، فاهم الحريات الأربعة التى نادى ميثاق الاطلنطى بضرورة تحقيقها هى التحرر من العوز .

كما لا نعنى بملاحظة التطور الفكرى الذى يساعد عليه التوسع فى التعليم العام " رغم اعوجاجه" . وثورة المتعلمين وانصاف المتعلمين المتبطلين المنتشرين فى أنحاء البلاد على المجتمع . وتغافل الاذاعة فى كل أنحاء المدن والقرى والدعايات الأجنبية المختلفة والدعايات المحلية المتنوعة التى أطهرت الانتخابات الأخيرة بعض صورها .

وفى النهاية يأتى العامل الأهم وهو الجوع والعرى المستمر الذى ضاعفت الحرب من مرارته بما جره من غلاء وصعوبة فى الحصول على مواد التموين الأساسية .

وأكثر ما يرجع جمودنا الى أننا فى الواقع لا نمثل شعبا واحدا بل شعبين مختلفين فى معيشتهما وتعليمهما وكل مقاييسهما . وأقصد الفئة القليلة التى وسع الله فى رزقها ونموذجها ، وعامة الشعب المعدمة المعلوبة على أمرها وغلبتها وهم الفلاحون .

فبينما نرى الدولة لاتستطيع أن تتوانى فى توفير المياه والوسائل اللازمة لرش طرق الأحياء المتازة بالمدن يوميا نجدها لم تعن ولو بعض تلك العناية بتوفير مياه الشرب لثلاثة أرباع السكان .

والفئة الأولى تملك الأرض والمصانع والمتاجر وتحتل أكبر وظائف الدولة وتجلس فى البرلمان بمجلسيه بفضل أصوات هؤلاء الجياع المستعبدين اقتصاديا .

ومشكلة الفلاح لن تحلها بعض الإجراءات الثانوية التى لاتتعداها براعمنا ، بل هى تحتاج إلى مواجهة العلة من أساسها والقضاء عليها بجرأة وحزم والإقدام على أعمال بعيدة الأثر والمدى تصحح الوضع .

وللأسف لم تفكر بعد حكومة من حكوماتنا فى الاضطلاع بهذا العمل الجسيم الذى وإن أغضب البعض فى ظاهره أو بدايته سيحقق مع الوقت الخير والسلام للجميع .

التطور فى انجلترا :

وأمامنا أكثر الأمم محافظة وهى انجلترا فقدضربت المثل فى الحكمة وبعدالنظر فاختارت طريق التطور السلمى مع التيار تفاديا لانقلاب خطير مفاجئ . لقد ارتفعت ضريبة الدخل على الإيراد " بعد حد معين" الى ٩٧½٪ من قيمة هذا الدخل .

وقد قطعت بريطانيا أشواطا بعيدة فى دراسة برامج ما بعد الحرب من سياسة للمساكن أو للتغذية أو للتعليم أو للنهوض بالقرى أو لضمان العمل للجميع أو لغير ذلك مما يؤدى إلى خدمة الشعب وبخاصة طبقاته العاملة الضعيفة .

وأهم ظاهرة لهذا التطور الحكيم هو مشروع " بيفردج" الجرئ للتأمين الاجتماعى الذى طالعتنا به بريطانيا فى العام الماضى والذى يؤمن كل شخص فى انجلترا ضد المرض والشيخوخة والبطالة ويرتب إعانات فى حالة الوفاة وللأرامل والأيتام ، وكذا للحوامل او للعائلات عن الولد الثانى ومن يليه . وغير ذلك من التفاصيل التى كانت محل عناية كبيرة من الباحثين لدينا فى مصر .

ولا أقصد أن نحاول نقل مثل تلك المشاريع إلينا إذ لا طاقة لنا بها . وكل مانتمناه أن نتخذ بلا توان كافة الإجراءات مهما كانت جريئة لنضمن للفلاح أولى مطالب الحياة، وهى السكن الصالح والغذاء الكافى والكساء اللازم والعناية الصحية وفرصة التعليم الملائم . كل ذلك فى حدود الاعتدال والتواضع .

مستوى معيشة الفلاح ، الزيادة فى السكان :

وسنتناول فيما يلى العوامل التى تحدد مستوى معيشة الفلاح كل على حدة :

دخل الفلاح — إذا ما بحثنا فى أسباب العلل التى يعانيها الفلاح وجدنا أولها الفقر . ويرجع هذا الفقر إلى تزايد السكان السريع دون أن تقابله زيادة فى الموارد . ويبلغ متوسط زيادة السكان فى مصر حوالى ١٠٪ كل عشرة سنوات .

ولما كانت الأرض الزراعية فى مصر هى العماد الأول للشعب إذ يعيش عليها ما يزيد على ¾ السكان . ولو لاحظنا أن مساحة الأرض الزراعية فى مصر منذ ١٠٠ سنة تقريبا أى فى سنة ١٨٤٠ كانت ٣,٨٥٦,٠٠٠ فدان، أن عدد السكان فى سنة ١٨٤٥ كان ٤,٤٧٦,٤٤٠ نسمة، وأن مساحة الأرض المنزرعة الآن تبلغ حوالى ٥,٨٠٠,٠٠٠ فدان، وأن عدد السكان يبلغ حوالى ١٨,٠٠٠,٠٠٠ نسمة، لتبين لنا أن عدد السكان قد قفز فى مدة قرن واحد إلى ٤ أمثال ما كان عليه فى حين لم تتسع الأرض الزراعية إلا بمقدار النصف فى نفس المدة . ومما يؤسف له أن هذا الاختلال فى التوازن بين الفلاحين والأرض مستمر متصل .

ضيق الأرض :

على هذا الأساس يقابل كل فرد من الفلاحين حوالى ¼ فدان من الأرض، وهى مساحة لا يمكن أن توفر العمل المتصل أو تنتج الدخل الكافى حتى ولو كانت الارض موزعة بالتساوى ومملوكة للجميع .

ويقابل كل فرد من الفلاحين الأمريكيين من الأرض عشرين مثلا لما يقابل الفلاح المصرى . وعلى ذلك فلم يضار الإنتاج الزراعى من قلة عدد الفلاحين ، بل على العكس من ذلك ، لما قامت الحكومة الأمريكية أخيرا بدراسة عدد من تجندهم من الزراعيين مع عدم الإضرار بالإنتاج أو ببرنامج التوسع فيه — وفقا لمقتضيات الحرب ، أثبت البحث الذى قامت به وزارة الزراعة الأمريكية أن هناك تضخما فى العمال الزراعيين ، وأنه يمكن تجنيد الكثير منهم — دون أن يتأثر الإنتاج أو يتوقف برنامج التوسع المرسوم .

فلا مندوحة لنا إذا أردنا رفع مستوى معيشة الفلاحين ، أن نمتص الزائد منهم عن حاجة الأرض وقدرتها ، ونفتح لهم أبواب العمل المنتج فى الميادين الأخرى التى تنمى الثروة القومية .

إصلاح الاراضى البور :

وأول ما يتجه إليه الفكر هو تنفيذ المشروعات اللازمة لاستصلاح الأرض البور القابلة للزراعة والمقدرة مساحتها بمبلغ ١,٦٠٠,٠٠٠ فدان أو مايزيد عن ربع المساحة المنزرعة حاليا .

استغلال الموارد الطبيعية :

ويلى ذلك العناية باستغلال مواردنا الطبيعية الأخرى ، وفى مقدمتها الثروة المعدنية والثروة المائية والقوى الممكن توليدها من مساقط المياه . وأمامنا ميدان فسيح فى تحسين وسائل الاستغلال الزراعى وتكثيفه .

الهجرة :

كما يتجه الفكر إلى السعى لفتح أبواب الهجرة والتشجيع عليها ، وربما كانت السودان والحبشة والعراق أقرب ما يمكن النجاح فيه .

أهمية التحول الصناعى :

ومع عدم الانتقاص من أهمية المشروعات سالفة الذكر ، نرى أنها لن تستطيع وحدها استيعاب العدد الزائد من السكان الريفيين .

وسيظل التحول الصناعى ذو الباب الأول والأهم لفتح باب العمل أمام المصريين ، ولزيادة الثروة القومية ، وقد دارت مناقشات كثيرة حول واجب الحكومة فى حماية الصناعة المصرية الناشئة ، إذ بدونها لن يتيسر رفع مستوى المعيشة ، كما ابديت مخاوف من أن الاتجاهات العالمية تميل نحو حرية التجارة والتخفيف من العوائق الجمركية .

فقر البلاد الزراعية :

وقد تبينت بعض الدول الصناعية ، وبخاصة الاستعمارى منها التى كانت تتجه نحو إبقاء البلاد الزراعية المتأخرة على حالها لتستمر موردا للمواد الخام وسوقا للمنتجات المصنوعة — أن هذه السياسة لم تكن سليمة اقتصاديا ، لان تلك البلاد ينتهى أمرها إلى درجة من الفقر يقضى على قيمتها كسوق .

ضعف مقدرة الفلاح الشرائية

وما الذى يستطيع الفلاح المصرى الذى كان يتقاضى قبل الحرب ثلاثة قروش يوميا شراءه من المنتجات المصنوعة مصرية كانت أم أجنبية ؟ أتتجاوز قدرته جلبابا أو جلبابين من أرخص الأنواع فى العام ؟

اهن هناك شك فى أنه لو تحول نصف العمال الزراعيين أو ثلثاهم إلى الصناعة لارتفعت أجورهم كما ترتفع أجور الثلث الذى سيبقى فى الأرض ارتفاعا يمكنهم أن يكونوا جميعا مستهلكين محترمين لمنتجات البلاد أو المنتجات الخارجية الصعبة ؟

وما الذى يضير تلك البلاد الصناعية لو تنازلت عن صنع الأقمشة الرخيصة والجلود والزجاج الرخيص وغير ذلك من الصناعات البسيطة إلى صناعات الآلات والأدوات الدقيقة والكيائيات وغير ذلك مما ان تستطيع تلك البلاد الزراعية أن تزاحم فيه وذلك ما دامت ستبيع من تلك الأصناف أضعاف مجموع ما كانت تبيعه من قبل ؟

مؤتمر هوتسبرنج :

وقد كان موضوع احتفاظ السكان الريفيين محل دراسة لجنة خاصة فى مؤتمر الأغذية والزراعة الذى عقد فى هوتسبرنج بالولايات المتحدة فى العام الماضى، وقد وتبين لمؤتمر أن الكثير من البلاد الزراعية تشكو من ازدحام السكان الزراعيين الذى يؤدى الى الإضرار بالزراعة نفسها ، و إلى انخفاض مستوى المعيشة فتبقى تلك المناطق المكتظة سوقا ضيقة لتوزيع المنتجات زراعية كانت أو صناعية ، محلية كانت أو خارجية .

تشجيع الصناعة فى البلاد الزراعية المزدحمة :

وقد تضمنت توصية المؤتمر الثانية والعشرين أنه يتعين على البلاد التى يزيد فيها عدد السكان الزراعيين بالقياس إلى مواردها الزراعية أن تنهض بصناعات ملائمة للجهة، و بالأخص بتجهيز وحفظ المنتجات الزراعية، وكذا بتصناعة الآلات والمخصبات والمعدات اللازمة للزراعة، كما يجب تشجيع تصدير المواد المجهزة بدلا من المنتجات الخام . كما أوصى المؤتمر بضرورة مساعدة تلك البلاد فى الحصول على رأس المال اللازم للنهوض بوسائل الصناعة والنقل وتشجيع تصدير منتجاتها المصنوعة وذلك بجانب مساعدتها فى الحصول على الآلات والمعدد والفنيين اللازمين .

برنامجنا الصناعى :

وعلى هذا فمهمتنا الأولى هى وضع برنامج سليم للتوسع الصناعى الذى تتوافر له شروط النجاح الاقتصادية . وأن نقدم لهذا النوع من الصناعات ما تحتاجه من إرشاد فنى وعون مالى وحماية . ولن نستطيع أن نطمع فى الإبقاء على كل الصناعات التى نشأت فى ظروف

الحرب، فعليا أن نبحث حالة كل منها لمعاونة القادر على البقاء والتنازل عن تلك التي لا يبرر قيامها إلا الحرب . وذلك تمشيا مع الاتجاه العالمي ، ورحمة بالمستهلكين الذين يقع عليهم عبء الحماية .

توزيع الملكية الزراعية

وهناك موضوع ثالث إلا أنه على جانب عظيم من الخطورة والأهمية، وأقصد به موضوع الملكية الزراعية، فالأرض الزراعية لدينا بجانب ضيقها مسيئة التوزيع، فوفقا لإحصاء سنة ١٩٣٨

يملك	١,٧١٧,٠٠٠	شخص فدنا فأقل	بمتوسط ٤١٫ فدانا .
«	٥٦٨,٠٠٠	« فدانا الى خمسة	بمتوسط ٢,٠٥ « .
«	٨٦,٠٠٠	« خمسة أفدنة الى عشرة	بمتوسط ٦,٦ « .
«	٣٩,٠٠٠	« عشرة أفدنة الى عشرين	« ١٣,٣٣ « .
«	١٣,٠٠٠	« عشرين فدانا الى ثلاثين	« ٢٣,٦٦ « .
«	٩,٥٠٠	« ثلاثين فدانا الى خمسين	« ٣٧,٨ « .
«	١٢,٦٠٠	« أكثر من خمسين فدانا	« ١٧٥,٧ « .

ومعنى ذلك أن ١ مليون مالك أو ثلثي الملاك يملك كل منهم أقل من فدان بمتوسط عشرة قراريط، وهي ملكية تكاد تكون شكلية لا توفر العمل المستمر للعائلة كما لا تدر دخلا يذكر بجانب أنها تعتبر وحدة اقتصادية منحطة الكفاءة لضآلتها وصعوبة استغلالها .

ذلك في الوقت الذي يملك فيه ١٢,٠٠٠ أي حوالي ٠,٥ ٪ من عدد الملاك ٤٤٪ أي ما يقرب من نصف المساحة المزروعة .

حق تملك الأرض :

والأرض تختلف عن بقية السلع في أنها هبة من الطبيعة ثابتة الموقع محددة المساحة، وهي التي تنتج قوت الانسان مما يجعل لمالكيها مركز احتكار خطير جعل الكثير حتى المحافظين يطالبون بمنع تملك الأفراد للأرض . وعلى كل فقد نفذ لدينا تلك السياسة المغفور له محمد علي باشا ولم تتطور مصر نحو حق تملك الأرض الا في النصف الثاني من القرن الماضي .

المزارع الصغيرة :

على أنا لو تركنا هذا الاتجاه جانبا لوجدنا أن التفكير الاقتصادي والاجتماعي الأكثر محافظة يرى أن الزراعة (طريقة في الحياة mode of living) تكون الأرض أهم مقوماتها، وأن أحق الناس بتملك الأرض هم الزراع الذين يعيشون عليها ويفلحونها بأنفسهم، ونجد لذلك أن أكثر أنواع المزارع تمتعا بالتأييد والتشجيع العام هي تلك التي تناسب العائلة في حجمها والتي يفلحها ملاكها بأيديهم (family size, owner operated farms) .

نشر الملكيات الصغيرة :

وعلى ذلك نقترح العمل على الإكثار من هـذا النوع من المزارع على حساب المزارع الكبرى والمزارع القزمية غير الاقتصادية وذلك دون المساس بأية حقوق قائمة .

وقد اتخذت دول مختلفة إجراءات منوعة للوصول الى هذا الهدف، ونرى الأخذ بها نشرا للملكيات الصغيرة وتزهيدا للأغنياء فى التوسع فى شراء الأرض فيتجهون بأموالهم نحو الصناعة فتقوى وتنشـأ مصرية قومية كما تضع تلك الاجراءات حدا لتفتت الملكيات . وأهم تلك الحلول التى نوصى بها هى :

١ — وضع ضريبـة تصاعدية على الأطيان بحيث يصبح التملك فوق حد معين كمائة فدان مثلا — غير مجد .

٢ — رفع فئـات الضريبة التصاعدية على التركات وتحصيلها عينـا فى حالة الملكيات الكبيرة .

٣ — فى الجهـات التى يحتكر الملكية فيها شخص أو أكثر من كبار الملاك ولا يمتـلك الفلاحون شيئا تنزع ملكية عشر الزمام مقابل دفع الثمن، وذلك لبيعه لصغار الزراع بتقسيط يسير .

٤ — ضم الملكيات المفتتة بتقدير قيمة أرض القرية ثم اعادة تقسيمها بحيث يخصص كل مالك بقطعة موحدة يسهل الوصول اليها ويتيسر ريها وصرفها بأقل تكاليف .

٥ — منع تقسم الملكية بعد حد معين وليكن فدانا واحدا ويتعين حتى فى حالة وفاة المـالك بيعه لوحده لوارث فان تعذر فلغير وارث على أن يحصل كل على حقه .

توزيع أراضى الحكومة :

ولدينا فى مصر فرصة إضافية وهى الأراضى المملوكة للحكومة المستصلحة والقابلة للاصلاح إذ يمكن توزيعها بين صغار الفلاحين بمعدل ٣ إلى ٥ أفدنة لكل عائلة ، مع توفير المسكن الصالح والخدمات العامة وفقا لبرنامج مرسوم ، فننشىء فى تلك المناطق ريفا جديدا خاليا من عيوب الريف الحالية. وقد تقدمت إدارة الفلاح بمشروع منفصل لسياسة التعمير المذكورة ورد ذكره فى خطابى العرش الأخيرين ، ونأمل أن يكتب له التنفيذ السريع .

مشروع خطاب بك :

وقد تقدم حضرة الشيخ المحترم محمد خطاب بك بمشروع قانون يحرم شراء أرض جديدة على من يملكون خمسين فدانا فأكثر . وأنا وان كنت أوافق على هـذا المشروع من حيث الاتجاه والمبدأ إلا أننى أرى أن ما سبق وأن ذكرته من إجراءات أبعد مدى وأسرع أثرا .

الجمعيات التعاونية :

وهنا لابد من الاشارة إلى الجمعيات التعاونية كخير وسيلة تساعد صغار الفلاحين فى الاستفادة بمزايا الانتاج الواسع، سواء من حيث استعمال البذور الممتازة أو أساليب الزراعة الحديثة أو الآلات الزراعية أو التصريف الكفء الذى يستند إلى تركيز وتوحيد الأصناف والمقدرة فى الأعداد والتعبئة .

وحبذا لو ضوعف المجهود الذى يبذل فى تفهيم الأهالى ماهية التعاون ومزاياه وتدريبهم على العمل التعاونى السليم .

ونرجو أن تتجه العناية أكثر إلى ما يؤدى إلى تحسين الانتاج الزراعى وقيام الصناعات المرتبطة به ، وتجهيز وتصريف الحاصلات ، وهى الميادين التى يعجز الفلاح الصغير عن السير فيها بمفرده والتى تؤثر أبلغ الأثر فى دخله .

حماية المستأجرين والعمال الزراعيين :

على أنه إلى أن تأتى سياستنا الاصلاحية بثمراتها وتزيد الثروة العامة ويرتفع دخل صغار الفلاحين. لا يجوز لنا أن نترك هذه الكثرة العظمى من المصريين دون حماية ، تعانى قسوة العرض الاجبارى لعملهم لضيق الأرض عن إستيعابهم وعدم وجود أبواب عمل — فى غير الزراعة — يتجهون نحوها .

وقد سبق أن اقترحت ادارة الفلاح وضع تشريع يحدد العلاقة بين ملاك الأراضى والمستأجرين بما يكفل العدالة فى التوزيع ويحدد الارتفاع فى قيم الإيجارات بما يتناسب وجودة الأرض والتغير فى أسعار المحاصيل .

كما اقترحت وضع حد أدنى لأجور عمال الزراعة يكفل سداد أقل ضرورات الحياة .

وللأسف لم يكتب لتلك الاقتراحات القبول للان إذ يخشى أن لا يستسيغ كبار الملاك تدخل الحكومة بينهم وبين رجالهم وأتباعهم — وان كنا نعتقد أن هذه الحماية واجبة وضرورة — ولم تقرر الحكومة لتلك الحماية إلا فى حالة واحدة ، وهى عند وضع حد أدنى لأجور عمال الزراعة فى مديريتى قنا وأسوان بعد أن كشف وباء الملاريا عن حالة الجوع المنتشرة بينهم والتى ضاعفت من عدد الضحايا .

وأملنا أن لا ننتظر كارثة قومية أخرى لتبين ضرورة منح الحماية المشروعة لطبقة صغار الفلاحين البائسة .

حالة القرية ومسكن الفلاح:

القرية ومسكن الفلاح — فكر المغفور له محمد على باشا فى اصلاح القرية المصرية وأوصله التفكير الطويل إلى استحالة هذا الاصلاح لتعدد عيوب القرية وتشابكها ، حتى لم يجد بها شيئا واحدا يستحق الابقاء، فقرر حرق القرى جميعها وانشاء قرى جديدة، ولم يمنعه عن تنفيذ

قراره هذا إلا توسط العلماء والأعيان ورجالهم بأن يستعيض عن هذا الاجراء الخطير التدرج فى الاصلاح . ومنذ ذلك العهد لم يطرأ أى تحسين على حالة القرية بل زادت حالتها سوءا لعدم التفكير فى الاصلاح وانصراف النظر عن الريف .

فالقرية المصرية الآن قذرة موحشة ، سيئة التنسيق ، ضيقة الطرقات ، حقيرة المبانى ، معدومة التهوية ، مقبضة مظلمة ، تحوطها البرك والمستنقعات . ومسكن الفلاح كهف من الطين ، كريه الرائحة يتقاسمه الانسان والحيوان دون تفرقة ، خال من المياه الصالحة أو وسائل التصريف أو الضوء والتهوية . ولا تسمح الحالة الحاضرة لمنزل الفلاح العادى بادخال دورة مياه صالحة فيه . وهى أهم وسائل الصحة والنظافة .

تكاليف انشاء قرى جديدة :

ومع تقديرنا لكثرة تكاليف انشاء قرى جديدة منظمة ، تتوفر فيها أماكن الخدمات والمصالح العامة ، وتمتد بها المساكن طبقا لتخطيط هندسى سليم ، واشتراطات صحية واجتماعية مناسبة ، فان تحقيق ذلك ضرورة أساسية لا مندوحة عنها ، حتى ولو اضطرت الدولة الى عقد قرض خاص ، ولا تعتبر تكاليف هذا التعمير مصروفا نهائيا اذ ستسترد الحكومة الجانب الأكبر منه على أقساط من أصحاب المنازل الجديدة .

نقل القرى والعزب تدريجا :

ونعتقد أن خير وسيلة لاصلاح حال القرية ومساكنها هى نزع ملكية مساحة مناسبة بجوار كل قرية تخطط لاقامة القرية الجديدة عليها . وتقسم الى أقسام تعد للبناء قسما بعد آخر ، ليتيسر استثمار بقية المساحة حين الحاجة اليها ، على أن يمنع الأهالى من اقامة مبان جديدة إلا فى تلك المنطقة طبقا لرسوم واشتراطات خاصة تكفل تناسق المبانى وسلامة وصلاحية المساكن .

وبهذا ستنتقل القرية تدريجيا إلى الوضع الجديد السليم ، وتستطيع الحكومة أن تعجل به عن طريق تيسير منح الأرض ولو بقيمة مخفضة بجانب صرف سلف ميسرة السداد للراغبين فى البناء ، ويطبق نفس النظام على العزب بشكل مصغر يتحمل الملاك فيه التكاليف .

المسكن والغذاء :

صحة الفلاح — يرتبط المستوى الصحى أوثق الارتباط بما سبق أن تحدثنا عنه من قصور دخل الفلاح عن توفير الغذاء الصحى والكساء اللازم . كما يرتبط بتوفير البيئة الصحية فى القرية والمسكن . فلن تثمر جهودنا فى القضاء على أخطر الأمراض المتوطنة ، وأقصد البلهارسيا والانكلستوما والملاريا ، ما لم تتوفر المياه الصالحة والمرحاض الصحى وتردم البرك .

المستشفيات العامة والعيادات الفردية :

وفى رأيى أن خدمة تلك الناحية الوقائية تستحق عناية تفوق العناية بالناحية العلاجية، كما أعتقد أن الحكومة لا بد لها أن تعتمد فى توفير العلاج الطبى على معاونة الأهالى أيضا، فتتولى الحكومة إنشاء المستشفيات العامة ذات التخصص فى البقع المتوسطة مع تيسير سبل نقل المرضى ، وتشجع الأهالى على تنظيم جهودهم والمساهمة فى إنشاء العيادات الفردية بطريقة شبه تعاونية إذ ثبت امكان ونجاح ذلك فى المراكز الاجتماعية التى سيأتى ذكرها وفى جمعيات الأصلاح الريفى .

التعاون الصحى :

وأذكر على سبيل المثال أن إحدى جمعيات الأصلاح الريفى التى تعتمد على تبرعات الأهالى وتحصل على اعانة متواضعة من ادارة الفلاح (٢٠٠ جنيه فى العام الماضى) امكن أن تردم كل برك القرية بأقل من ثلث التكاليف التى عرضها المقاولون على الحكومة ، كما اتفقت مع طبيب على زيارة القرية مرتين فى الأسبوع من الساعة الثالثة إلى السادسة بعد الظهر وذلك نظير مكافأة شهرية قدرها ١٢ جنيها . تجمع الجمعية من كل بيت من بيوت القرية البالغ عددها ١٥٠٠ بيت ثلاثة قروش شهريا، مقابل العلاج وصرف الدواء بالمجان.

الأمية

تعليم الفلاح — لم تزد نسبة الملمين بالقراءة والكتابة على ١٨ ٪ بعد مرور ٢٠ عاما على وجود التعليم الالزامى ، وقد كان هذا النوع من التعليم وهو الأهم الذى يشمل الجميع شكل نقد متصل .

المدارس الريفية

ويسرنا أن نسجل أن وزارة المعارف قد بدأت بنشر المدارس الريفية حتى بلغ عددها حوالى ٦٠ مدرسة .

وقد أنشئت أول مدرسة من هذا النوع منذ أربع سنوات فى قرية المنايل ، حيث تجرى الجمعية المصرية للدراسات الاجتماعية تجربة لأصلاح القرية .

ويتبع فى المدارس الريفية نظام اليوم الكامل يقضى التلاميذ نصفه فى الفصول والنصف الآخر فى حقل المدرسة التعليمى وفى مشغلها حيث يمارسون مختلف الصناعات الريفية . وتتبع تلك المدارس طريقة المشروع معتمدة على المشروعات الزراعية والصناعية المذكورة فى التعليم، ويربط هذا النظام المدرسة بالقرية، وينشأ الاولاد أكثر ارتباطا ببيئتهم وحبا لها، كما يعدون لان يكونوا فلاحين اكثر تقدما واستعداد للتجديد .

وبكل من تلك المدارس زائرة صحية ، كما تصرف للتلاميذ وجبة غذاء مجانا يوميا .

وانا نعتقد على تلك المدارس آمالا كبارا ، ونرجو أن لا يتأخر تحويل مدارسنا الإبتدائية فى القرى جميعها إلى مدارس ريفية .

وكل ما نرجوه أن يفتح الباب أمام المتازين من تلاميذ تلك المدارس لاستكمال تعليمهم الثانوى والعالى لتستفيد البلاد من مواهب أبنائها جميعا ، وليصل المتازون من أبناء صغار الفلاحين إلى المراكز التى تمكنهم من خدمة أهلهم وقراهم .

القضاء على الأمية :

هذا كما نرجو أن نوفق فى القضاء على الأمية فى أقصر وقت ، فينير التعليم عقول وقلوب الفلاحين ، ويصبحون مواطنين محترمين ، يعرفون ما لهم وما عليهم ، إذ عندئذ فقط سوف لا يحتاجون لرأفة وتصدق المصلحين ، بل سيطالبون بحقوقهم فى الحياة وستحترم الحكومات والأحزاب هذا الصوت وتعمل على تحقيق مطالب تلك الاغلبية ، وأمامنا مثل الاحترام الذى يلقاه صوت عمال المدن كلما ارتفع .

التسلية البريئة المفيدة :

أوقات الفراغ — يجب أن نعنى بتوفير التسلية البريئة المفيدة البسيطة حتى تتحسن الحياة فى القرية ، ويخف ما يخيم عليها من ظلام وركود ممل .

الاذاعة والسينما الريفية :

وقد نجحت المراكز الاجتماعية فى توفير بعض وسائل التسلية عن طريق استماع الفلاحين للاذاعة أو المحاضرات أو تنظيم حفلات سمر يقوم بها أولاد القرية من فرقة التمثيل أو فرقة الأناشيد . كما أنشأت نواد بسيطة يمارس فيها الفلاحون بعض الالعاب الريفية بجانب تسامرهم فيها فى المساء .

وجبذا لو عنى بوضع برنامج خاص لاذاعة ريفية يفهمها الفلاحون ويستسيغونها ، كما نأمل أن تعد أفلام خاصة مفيدة للفلاحين ومسلية فى نفس الوقت تعرض عن طريق سيارات تتنقل بين القرى . وسيكون لتلك الوسائل العملية أثر يختلف عن أثر الخطب والمحاضرات الخالية الجافة .

المراكز الاجتماعية :

والآن وقد انتهينا من عرض مشروع برنامج لاصلاح حال الفلاح ورفع مستوى معيشته ، نود أن ننتقل إلى ناحية التطبيق العملى . ولما كان مشروع المراكز الاجتماعية الذى وضعته وزارة الشؤون الاجتماعية وتسير فى تنفيذه منذ ثلاث سنوات قد أثبت صلاحيته وأفضليته من حيث شمول خدماته لتحقيق خدمة الفلاح والقرية من كافة النواحى بأقل التكاليف وأبسط الوسائل ، فسنتناول هذا المشروع باختصار ، حتى يتبين أن ما نطالب به من إصلاح عملى ممكن التحقيق .

الخدمة الشاملة :

يقوم مشروع المراكز الاجتماعية على أسس ثلاثة :

١ — تناول كافة نواحى الخدمة المطلوبة اقتصادية كانت أو صحية أو ثقافية أو اجتماعية فى وقت واحد ، إذ أصبح من المسلم به أن كل تلك النواحى مرتبط بعضها ببعض . فلا ثمرة من فتح مدرسة إلزامية إذا اضطر الفقراء من آباء التلاميذ إلى تشغيلهم بدلا من إرسالهم للمدرسة أو إذا ذهب الولد جائعا إليها . كما لن يثمر العلاج الطبى إذا لم يتوفر الغذاء اللازم أو وسائل الوقاية أو إذا استمر الفلاح جاهلا بطرق توقى تكرار العدوى . وهكذا .

تعاون الأهالى :

٢ — أنه لا بد من إيقاظ الفلاح صاحب الشأن الأول وإشعاره بالحاجة للإصلاح وإقناعه بواجبه ومصلحته فى المساهمة فيه ماديا وأدبيا ، وبذا تقل التكاليف وتتضاعف الفائدة . فالحكومة ليست بمستطيعة بناء مستشفى فى كل قرية . كما أن إقبال الأهالى على ذلك المستشفى هو الذى يحدد قيمته العملية .

البساطة :

٣ — أن تكون المنشآت بسيطة وتكاليف العمل قليلة وذلك حتى لا تكون هناك طفرة وحتى يكون المشروع — متى ثبتت فائدته — قابلا للتعميم فى حدود قدرة البلاد المالية .

المبانى :

ويخدم كل مركز اجتماعى ١٠,٠٠٠ من السكان فى قرية واحدة أو فى قرى متقاربة ، وتتكون مبانيه من صالة للاجتماع والمحاضرات بها جهاز راديو ومكتبة قروية وملحق بها غرفة لاجتماع اللجان ومكتبة للاخصائى الزراعى الاجتماعى . ومن عيادة خارجية يتبعها معمل للفحص وصيدلية لصرف الدواء . ومن دار لرعاية الأم والطفل بها عنبر للوالدات وسكن للزائرة الصحية .

الموظفون :

ويقوم بالعمل فى المركز الاجتماعى ثلاث موظفين يقيمون بالقرية ويختلطون بأهاليها ويدرسون مشاكلهم ويقومون بخدمتهم . وأداتهم الوحيدة هى ما يكتسبونه من ثقة الأهالى ومحبتهم ، إذ ليست لهم أية سلطات حكومية قانونية كانت أو تنفيذية .

وكان من أهم أسس اختيار هؤلاء الموظفين توفر الاستعداد الشخصى والاجتماعى لهذا النوع من العمل ، مع مراعاة ان يكونوا على قدر الإمكان قد نشأوا فى بيئة ريفية . وهؤلاء الموظفون هم :

الاصلاح الزراعى .

١ — إخصائى زراعى اجتماعى من خريجى كلية الزراعة تلقى منهجا خاصا فى الخدمة الاجتماعية الريفية . ومهمته هى العمل على زيادة دخل الفلاحين بارشادهم و إقناعهم باستعمال أحسن التقاوى وأحدث أساليب الزراعة وطرق مقاومة الآفات ، أو المساعدة فى إدخال محاصيل جديدة مربحة كالخضر والفاكهة، أو لإكثار من زراعة الأشجار الخشبية، كما يعنى بالإنتاج الحيوانى بتحسين سلالات الدواجن والماشية .

الصناعات المنزلية :

وتتناول مهمته أيضا إدخال الصناعات الزراعية والمنزلية المناسبة للبيئة ليتمكن الفلاح من استغلال وقت فراغه بشكل مربح ، واستثمار الخامات والمخلفات المحلية .

الخدمات الاجتماعية :

كذلك يعمل الاخصائى على رفع المستوى الاجتماعى بالقرية عن طريق مراقبة النظافة، وتنظيم جمع الزكاة و إعانة الفقراء ، وفتح فصول ليلية لتعليم الكبار ، والعمل على فض المنازعات قبل أن يستفحل أمرها وغير ذلك .

اللجان :

ويعتمد الاخصائى فى تحقيق ذلك على اللجان المختلفة المختارة من أهل القرية ذوى الكفاءة والاستعداد . فتوجد بكل مركز لجنة للصحة والنظافة، وثانية للاقتصاد والزراعة وثالثة للتعليم ، ورابعة لتنظيم الاحسان، وخامسة لفض المنازعات .

كما يعنى الاخصائى عناية خاصة بأمر التعاون، فتعالج الجمعيات الضعيفة أو تنشأ جمعيات سليمة حيث لا توجد جمعيات .

البحوث الاقتصادية والاجتماعية :

وبجانب ذلك يقوم بتعمل بحث شامل لحالة القرية، وبحث اقتصادى اجتماعى لحالة كل عائلة وذلك وفقا لنماذج خاصة . وسيكون لتلك البحوث متى تمت وهى الأولى من نوعها فى مصر قيمتها للمعنيين بشئون الإصلاح الريفى .

الوقاية الصحية والعلاج :

٢ — طبيب يعمل كل الوقت وليست له عيادة خاصة، يعمل على توفير البيئة الصحية فى القرية بتوفير الوسائل اللازمة كمياه الشرب والمراحيض والتخلص من البرك . كما يعمل على توقى انتشار الأمراض بحقن الأهالى بالأمصال أو مراقبة النظافة . ويرشد الأهالى ببصرهم بطرق الوقاية . و يعالج المرضى و يصرف لهم الدواء بالمجان .

الفحص الطبي الشامل :

ويقوم الطبيب بفحص كافة الأهالى فحصا طبيا شاملا سيكون أول مصدر لإحصائيات صحية سليمة شاملة فى مصر .

رعاية الأم والطفل :

٣ — زائرة صحية حاصلة على دبلومات تمريض وتوليد وزائرة صحية من مستشفى القصر العينى . وتتلقى تدريبا خاصا فى الخدمة الاجتماعية الريفيـة . وتعنى هذه الزائرة بالحوامل والأطفال وترشد الأمهات . كما تراقب نظافة المنازل وتعلم بنات القرية التفصيل والحياكة وأشغال الأبرة والتريكو وغير ذلك مما يدر عليهن ربحا .

الثقافة النسائية :

وأهم عامل ساعد على سير هذا البرنامج الشامل بنجاح هو تعاون هؤلاء الموظفين وتبعيتهم لجهة واحدة، واشتراكهم فى تنفيذ برنامج موحد متكامل حيث أمكن تلافى اختلاف الاتجاه أو تضارب التعليمات .

تبرعات الأهالى :

وقد استجاب الأهالى لنـداء الإصلاح وتبرعوا بالأرض والمـال والمواد والعمل . وتزيد التبرعات النقدية وحدها — التى تم تحصيلها — عن ألف جنيه فى المتوسط فى كل مركز وقاربت الألفين فى أحد المراكز .

ويسير الأهالى فى البناء بهمة متعاونين تعاونهم فى بناء المساجد . وقد تمت منذ بضعة أشهر مبانى أول دار لرعاية الأم والطفل، والمنظور أن تتم خلال هـذا العام مبانى المراكز الاجتماعية الخمس الأولى رغم ما سببته الحرب من صعوبات فى الحصـول على الخامات أو ارتفاع باهظ فى أسعارها. وقد تبرع الأهالى بأماكن مؤقتة لبدء العمل وسكن الموظفين إلى أن تتم المبانى النهائية .

انخفاض التكاليف :

وتنخفض تكاليف تلك المبانى إلى حوالى ثلث تكاليف المبـانى التى تقيمها الحكومة لمثل هذا الغرض . يضاف إلى ذلك أن الأهالى يقومون بجانب هام من تلك التكاليف .

ولا أريد الإطالة فى تفصيل ما حققته المراكز الاجتماعية من خدمات ، فهو مذكور بالتقرير الذى أصدرته إدارة الفلاح عن عام ١٩٤٢ كما سيتناوله التقرير الجارى إعداده الآن عن المراكز الاجتماعية فى ثلاث سنوات . وسنكتفى بذكر بعض الأمثلة :

تحسين الإنتاج الزراعى وتنويعه :

يقبل أهالى المراكز الاجتماعية على طلب التقـاوى الممتازة من وزارة الزراعة والجمعيـة الزراعية الملكية، وكان لاستعمال تقاوى الأذرة الممتازة بصفة خاصة أثر واضح لمـا اعتاد صغار الفلاحين من عدم الاهتمام بانتقاء تقاوى هذا المحصول الهام .

وكان لاتصال وإرشاد الاخصائى المستمر واستعانته بالحقل الإرشادى الذى وافقت وزارة الزراعة على إنشائه فى كل مركز قيمة عظيمة فى رفع مستوى الإنتاج، فقد اقتنع الفلاحون بأهمية اتباع الأساليب السليمة الحديثة بعد أن شاهدوا ارتفاع غلة الحقل الارشادى، حتى وصل فى كثير من الأحيان إلى ٥٠٪ زيادة عن محصول الحقول المجاورة. ويسرنى أن أذكر أن هذا الفرق بين محصول الحقل الإرشادى وزراعات الأهالى فى تناقص مستمر بسبب أخذهم بالتعاليم التى تتبع فى زراعة هذا الحقل.

وتتزايد مساحة الخضر فى كل المراكز وقد بلغت فى أحد المراكز القريبة من القاهرة حوالى ٦٠٠ فدان بعد أن كانت حوالى ١٢٠ فدانا فقط وذلك مع أن جملة الزمام المزروع بالجهة ١٠٠٠ فدان.

الإنتاج الحيوانى :

ويقبل الأهالى على الكتاكيت الممتازة التى توزعها وزارة الزراعة بعد أن شاهدوا الفرق فى حجم الدجاج والبيض وكثرته. وأكبر دليل على هذا الاقتناع أنهم يدفعون فى بعض الجهات ٣ قروش ثمنا للكتكوت الواحد بما فى ذلك مصاريف النقل بالرغم من أن ثمن الكتكوت البلدى فى القرية لا يتجاوز ١٥ مليما.

وقد زودتنا وزارة الزراعة بنحلين من طلائق الجاموس الممتازة فى كل مركز يقبل الأهالى عليها ويسجل ويراقب الاخصائى نتاجها. ولنا وطيد الأمل فى أن هذه العملية ستسفر عن نتائج باهرة لصغار الفلاحين الذين يقتنون الجاموس.

والأشجار الخشبية وأشجار التوت تتزايد سنويا، وقد أدخلت تربية دودة الحرير والنحل فى كثير من الجهات وكذا صناعة العجوة.

الصناعات الزراعية والمنزلية :

وقد نجحت المراكز فى نشر الصناعات المنزلية واختارت لذلك أفقر العائلات. وأهم تلك الصناعات نسج القطن وغزل ونسج الكتان وغزل الصوف وصنع البطاطين والكليم والسجاد وصناعات منتجات النخيل كالأثاث من الجريد والدواسات والمشايات والفرش من الليف وخوص الطرابيش من الزعف، وقد مهرت بنات القرى فى أشغال الإبرة والتريكو وستقيم إدارة الفلاح سوقا فى الشهر القادم لبيع منتجات تلك المراكز.

وأذكر على سبيل المثال أن أحد الأولاد الذين تعلموا صناعة الدواسات من الليف حصل على عمل فى أحد الملاجىء بالقاهرة براتب قدره ٦ جنيهات شهريا علاوة على الأكل والنوم إلا أنه بعد شهرين ترك العمل فى الملجأ وفضل العودة للعمل لحسابه بالقرية إذ أن ذلك أجدى عليه.

وقامت لجنة الاحسان فى أحد المراكز باستئجار خمسة أفدنة قسمتها إلى قطع تتراوح بين ٤ و ٦ قراريط وزعتها بين العائلات التى لا حقول لها سواء عن طريق الملك أو الإيجار وزودتهم بالتقاوى والكيماويات على أن تزرع خضرا وكانت النتيجة باهرة وحصلت تلك العائلات بعد سداد الإيجار والسلف على بضعة جنيهات فى العام بجانب ما تستهلكه شخصيا من تلك الخضر .

الفصول الليلية :

وهناك فصول ليلية فى كل القرى لتعليم الكبار وقد بلغ عدد هذه الفصول فى إحدى القرى تسعة وفى قرية ثانية خمسة . هذا كما انشئ فى بعض المستوصفات فصول لتعليم بنات ونساء القرية القراءة والكتابة .

ردم البرك :

وقد ردم الكثير من البرك لتحويلها إلى متنزهات . ولم تجاوز تكاليف الردم ربع التكاليف الحكومية العادية وذلك بفضل تعاون الأهالى .

التقدم الصحى :

ولم تظهر أية حالة للتيفوس فى بعض المراكز بالرغم من انتشار هذا المرض فى القرى المجاورة وذلك بسبب حملات النظافة المنظمة الشاملة . وقد سجلت وزارة الصحة هذا المجهود لوزارة الشئون الاجتماعية فى العام الماضى .

وتبلغ نسبة الولادات داخل المستوصف حيث تتوفر الوسائل الصحية أكثر من نصف جملة الولادات فى القرية فى بعض الجهات . وهى نسبة لم تصل إليها الأوساط الراقية فى العواصم .

نظافة القرى :

ويسرنا أن نذكر أن كل من زار تلك القرى من المعنيين بالاصلاح الريفى لاحظ الفرق الملموس فى نظافة تلك القرى ، طرقها ومنازلها وأشخاصها ، كما لاحظ تحسن صحة الأهالى فيها وبخاصة صغار الأولاد .

حماسة الاهالى :

وقد استلفت نظر هؤلاء الزوار بصفة خاصة ماشاهدوه من حماسة الأهالى واعتزازهم بقراهم واستعدادهم لخدمتها .

تعميم تكاليف المركز الاجتماعى :

وفى النهاية أود أن أسجل أن تكاليف إنشاء المركز الاجتماعى الذى يقوم بخدمة عشرة آلاف من السكان خدمة شاملة لايكلف الحكومة فى الظروف الطبيعية أكثر من ١٥٠٠ جنيه كما أن ماتتحمله الحكومة من مصاريف ادارة سنوية يبلغ ١٥٠٠ جنيه أيضا، وعلى ذلك فتعميم تلك المراكز يكلف الدولة ١٣ مليون جنيه للانشاء، ومثل هذا المبلغ سنويا للإدارة يخدم به ثلاثة أرباع السكان ويكلف الدولة ٢٪ فقط من ميزانيتها وتبلغ تكاليف الفرد نظير هذه الخدمات الشاملة ١٥ قرشا فى السنة وهو مبلغ ضئيل للغاية، وسيتوفر للحكومة فى هذه الحالة اضعاف هذا المبلغ مما ينفق الآن على بعض المشروعات الحكومية غير الشاملة غير الموحدة مما تتضمنه الآن ميزانيات الوزارات المختلفة كالشؤون الاجتماعية والصحة والزراعة . ذلك بجانب ماتكسبه البلاد من رفع المستوى الاجتماعى للفلاح وتدريبه على ممارسة حقوقه وواجباته .

ونأمل أن لايتأخر اليوم الذى يوضع فيه برنامج شامل للنهوض بالفلاح والتربية . وأن يحظى هذا البرنامج بتنفيذ سليم سخى ثابت لايهمل أو يتغير بتغير الأشخاص والوزارات .

أحمد حسين

إن الفقر لا يعالج بالمسكنات !

ولا يمكن انقاذ الفلاح إلا إذا ساعدناه على أن يتخلص منه بنفسه ، بأن نوفر له العمل الذى يمكنه فى أن يعيش هو وأولاده بمجهوده الفردى عيشة ملائمة دون أن ينتظر من أحد إحسانا أو صدقة . "

" محمد ذو الفقار يك "

من ثنايا التاريخ والأدب الاجتماعى :

النماذج الأساسية للأسرة الأبوية

للدكتور محمد غلاب أستاذ الفلسفة بكلية أصول الدين

إذا تصفحنا أسفار التاريخ فطالعنا فيها ماحاكته يد البشرية من سجلات الزمن، وأنعمنا فيها النظر قصد الموازنة والتحليل ، ألفينا الأسرة قد ارتدت فى العصور المختلفة ثيابا متباينة الألوان، وظهرت فى صور متفاوتة الهيئات، متعارضة الكيفيات . ومهما حاولنا الاقتضاب، ورجحنا الإيجاز على الإسهاب ، وحصرنا القلم فى أضيق ما نستطيعه من الدوائر ، فاننا لانجد بدا من أن نلاحظ طائرين أو كارهين أن الأسرة قد اتخذت خلال الأزمان والأجيال طرقا شتى ، وسلكت وسائل متشعبة ينبغى أن نطوف بها طوفة عاجلة قبل أن نعرض لآثارها البارزة فى الفرد والمجتمع ، وإليك تلك الطوفة :

فى مصر :

كانت الأسرة فى بلاد الفراعنة قوية الدعائم ، متينة البنيان وكان فيها السلطان لربها ، ولكنه كان سلطانا معتدلا يمتاز بالوداعة والهوادة ولين الجانب ، فلم تكن المرأة فى الأسرة المصرية مستعبدة، أو مضطهدة، أو مجردة من حقوقها الطبيعية والاجتماعية، بل كانت على العكس تستمتع بأكمل أنواع الحرية، فتخرج من المنزل متى شاءت وكيف شاءت، وتساهم فى مجد زوجها وشرفه ، وتذوق حلاوة المتعة بألقابه ، وتتباهى بشهرته حيث كانت تدعى فى كل مكان بلقب وظيفته وترتفع إلى مكانته الاجتماعية .

وإذا كان الأدباء فى كل زمان ومكان يصورون فى قصصهم ورواياتهم ما يقع حولهم من الأحداث، وكان الأدب لهذا السبب مرآة الحياتين : الاجتماعية والخلقية فى كل أمة، فانا نرى لزاما علينا أن نقف هنيهة أمام القصص الشعبية المصرية الأثرية التى جمعها المستعمر الكبير الأستاذ ماسپرو ، وترجمها إلى الفرنسية، ونتأمل فيها مليا ، لنرى كيف كانت المرأة المصرية محوطة لدى أولادها بسياج من الجلال، منظورا إليها من زوجها بعين الاحترام ، إكبارا لعقليتها وتقديرا لمواهبها ، مشهودا لها من الجميع بالقدرة على حل المشكلات العويصة التى تنعقد أمام زوجها ، وفوق ذلك فاننا نراها فى إثبات التاريخ وبين صفحات الأدب الشعبى القديم، لاتكاد تفارق زوجها فى الاستمتاع بمجده كما لا تفارقه فى احتمال أشق محنه وأقسى آلامه . ففى الأولى يحدثنا هيرودوت كيف أن الملك "سيزوستريس" قد سافر فى حملة ووكل أمر المملكة إلى أخيه ، ولما عاد مع زوجه التى لم تكن تفارقه البتة سقطا فى الفخ الذى كان ذلك الأخ الغادر قد نصبه لهما وكادت النار تلتهمهما وجميع أولادهما. وهنا هرع

"سيزوستريس" إلى حكمة زوجه فسألها النصيحة للخروج من هذا المأزق . ولما كانت هذه الزوج حاضرة البديهة ، جمة الإخلاص ، قوية الإرادة ، فقد بادرت فى الحال بتضحية ولدين من أولادهما بأن أرقدتهما فى النار ليكونا معبرا يمر عليه الباقون إلى موضع النجاة . وفى الثانية — وهى صفحات الأدب — ينبئنا احد الرواة أن أميرا كان بعض العرافين قد أنذره بأنه سيهوى بين براثن عدد من الكوارث والنكبات ، فأفضى بسره إلى زوجه الحكيمة القوية العزيمة ، فصممت على أن تغالب الأقدار حتى تدفعها عن زوجها ، وقد نفذت تصميمها فنجحت فى إنقاذه من بين مخالب الأخطار .

ولئن كان كل ذلك من الأساطير التى لا وجود لها فى عالم الحقائق ، فان الذى لاريب فيه هو ذلك الإيمان الراسخ الذى كان يملأ قلوب الأدباء بقوة المرأة وحكمتها ، وذلك الإجلال الذى كانوا يشاهدونها محوطة به فى كل مكان . وإذا أغضينا عن القصص الأسطورية ونظرنا فى الحكم الخلقية والاجتماعية التى تعتبر أساسا لتربية الأمة الفينيقية نجدها محتفظة باحترام المرأة ووضعها فى الصف الأول إلى جانب زوجها إن لم تكن متقدمة عليه أحيانا . ومن شواهد ذلك ما جاء فى حكم الكاتب "أنى" التى نقتطف منها هذه الشذرات : "... إن أمك هى التى حملتك وقاست فى ذلك احتمال الآلام ... وهى التى أدخلتك المدرسة ، وفى أثناء دراستك كانت تدأب على زيارتك فى كل يوم عند أستاذك حاملة لك الطعام والشراب من المنزل . ضع دائما نصب عينيك ألم الوضع الذى احتملته يوم ولادتك ، ولا تنس كل المتاعب التى تجشمتها لسلامتك ، ولا تعمل ما يجعلها تشكو منك خشية أن ترفع يديها نحو الإله فيسمع شكايتها" .

عند العبرانيين :

غير أننا إذا غادرنا وادى النيل وما كانت الأسرة فيه مستمتعة به من احترام متبادل وتقدير متكافئ ، واتجهنا إلى غيره من البلاد القديمة فتابعنا مثلا الأستاذ ارنست رينان [1] إلى مقر بنى اسرائيل الأولين عند ما كانوا قبائل رحالة ، ووقفنا بتلك الأصقاع برهة نتأمل فى حالة الأسرة هنالك ألفيناها تكاد تتلاشى فى رئيسها الأعلى وسيدها المطاع الذى لا ينازع سلطانه ولا يسأل عما يفعل ، ولا يجرؤ أحد من أفرادها على أن يرفع رأسه أمام جبروته . ولم يكن هذا السيد الطاغية هو رب الأسرة الفرعية الصغيرة ، وإنما كان ذلك الشيخ المسن هو رمز الربوبية والسلطان . ولهذا كانت المحكمة التى تقضى بين الجميع مؤلفة من أولئك الشيوخ الذين كان بأيديهم الأمر والنهى . وكان لكل واحد من هؤلاء الأرباب

---

(١) ارنست رينان : عالم واسع الاطلاع ومنزع دقيق التحقيق ، ولد فى بريتانيا الفرنسية فى سنة ١٨٢٣ وقد دفعه غرامه بالكتابة عن بنى اسرائيل إلى تعلم اللغة العبرية ، ويعتبر من كبار المتخصصين فى تاريخ الشعب العبرانى وقد توفى فى سنة ١٨٩٢

الحق فى تزوج امرأة أو امرأتين من طبقة الأشراف ، وله الحق كذلك فى أن يتسرى بمن شاء من الرقيقات سواء أكن ملكا له أو لإحدى زوجيه ، وكان الحق فى وراثة الرياسة وما يعقبها من امتيازات ينتقل إلى أكبر أولاده الذكور سنا على شرط أن تكون أمه من طبقات الأشراف ، أما أبناء السراري فلم يكن لهم الحق فى وراثة هذه الامتيازات ولا فى الاستمتاع بكل حقوق أبناء بنات الأشراف وإن كانوا ينسبون إلى الأسرة ولهم فيها بعض الحقوق . وبالإجمال يمكننا أن نقول : إن دور المرأة فى الأسرة الاسرائيلية القديمة يكاد يكون أقرب إلى العدم منه إلى الوجود ولم يكن لها فى تلك الأصقاع اعتبار ذو شأن .

عند الهيلين :

على أن تركز سلطان الأسرة أو انحصار امتيازاتها فى ربها الأوحد لم يكن فى تلك العصور بدعة انفرد بها بنو اسرائيل ، وإنما نحن نلمحه بارزا فى غير ذلك الشعب من الشعوب الأثرية ، فاذا تركنا الشرق وولينا وجوهنا شطر الأمة الهيلينية فى عصر أبطالها الأسطوريين ، وجدنا للأسرة فيها ذلك المظهر الأبوى الذى تركناه عند العبران ، ورأينا أعضاءها الكثيرى العدد يقيمون تحت سقف واحد ، ويخضعون لسلطان واحد ، وهو سلطان ذلك الرئيس الأعلى وهاك ما يصور به هو ميروس قصر پرياموس ملك تروادة إذ يقول :

" يوجد فى القصر خمسون جناحا متجاورة قد بنيت بالأحجار الملساء ، وفيها يقيم أبناء پرياموس إلى جانب زوجاتهم . وتجاه هذه الأجنحة أى فى الجانب المخصص للنساء يرتفع اثنا عشر جناحا بنيت كذلك بالأحجار الملساء حيث يقيم أصهار الملك مع زوجاتهم الطاهرات " .

وينبغى أن نشير هنا إلى أن هو ميروس عند ما صور قصر ملك تروادة لم يكن يزيد على أنه يستمد هذا التصوير مما يحيط به من مظاهر إغريقية بحتة ، دون أن يتنبه إلى الفرق بين الإغريق والتروادين ، فعنده كان الشعبان من عنصر واحد ، وكانا يتكلمان لغة واحدة ، ويدينان بعقيدة واحدة ، ويخضعان لقانون واحد .

كان أفراد الأسرة الإغريقية إذا يقيمون مع رئيسهم ويذعنون لأوامره مهما بلغت من العسف والطغيان أقصى حدودها . وإذا توفى انتقل هذا السلطان بقضه وقضيضه إلى أرشد أبنائه . وقد كان هذا الطغيان يعظم ويقسو حتى يتناول حق الموت والحياة ، فيقتل الرئيس من أفراد الأسرة من يشاء ولو كانوا من الأبرياء الذين لم يقترفوا جناية ولا إثما . ونحن إذا استشهدنا على صحة ما نقول ببطائفة من الاساطير الإغريقية فانما نفعل ذلك لسببين : أولهما أن التاريخ الصحيح يؤيد أكثر ما فى تلك الأساطير من وقائع وأحداث تأييدا قاطعا ، وثانيهما أن الباحثين المحدثين قد فرغوا من تحقيق أن الأساطير ليس فيها

ما يخالف الحقيقة سوى مظاهرها الشكلية التى صيغت فيها. أما أعماقها ومغازيها ومراميها والصور الأجتماعية والخلقية التى رسمت فيها ، فهى اجزاء من الحقيقة لا تقبل التجزئة ، وقد انتهى أولئك الباحثون أيضا من تقرير أن نبذ الأساطير بحذافيرها واعتبار كل ما ورد فيها خرافيا ضرب من السطحية التى لا يرضى عنها العلم الدقيق .

لهذا نحن نستشهد بتلك الأساطير على الحالة الاجتماعية الإغريقية مطمئنين إلى خطتنا كل الاطمئنان .

تحدثنا أسطورة أن " لايوس " ملك تيبا عند ما ينبئه العراف بأن ابنه " أوديبوس " سيكون يوما شؤما عليه يصمم على قتله ، وفى الحال يسلمه إلى من يتولى تنفيذ ذلك التصميم توا. وتنبئنا أسطورة أخرى أن " أجا ممنون " حينما يعلم من الكاهن أن الرياح لن تهب إلا إذا نحر ابنته " إيفيجينيا " فإنه لا يتردد فى أن يضحى بها و يقدمها قربانا للإلهة الثائرة .

على أننا لو غضضنا الطرف عن الأساطير والتجأنا إلى التاريخ لألفينا أن رئيس الأسرة الإغريقية كان — قبل تشريع سولون — له الحق فى بيع بناته إذا كان فى حاجة إلى المال. و يروى لنا هذا التاريخ أيضا أن دراكون — وهو أقسى مشرعى أثينا وأبعدهم عن الرحمة — لم يضع فى قانونه مادة لمعاقبة قاتل والده ، لأن التقاليد كانت تقضى بأن يوكل عقاب هذا القاتل إلى رئيس الأسرة . ولا جرم أن هذا هو أقصى ما تصل إليه السلطة من حرية وطغيان .

أما المرأة فقد كانت الطاعة أقدس واجباتها التى لا يباح لها الخروج عليها ، وإذا مات زوجها أو غاب انتقلت السلطة إلى أرشد أولاده ، فوجب عليها أن تكون رهن إشارته غير ناظرة إلى السن أو إلى البنوة. ومن أمثلة ذلك إذعان " پينيلوپيا " زوج أوديسوس لابنها " تيليماكوس " أثناء انقطاع أخبار زوجها ، وكانت قد أرادت أن تفرض لشخصيتها وجودا ، فتشارك ابنها فى السلطة فأجابها فى حزم وقوة بأس قائلا ، " إرجعى إلى جناحك ، واشتغلى بأعمالك كالغزل والنسيج وإصدار الأوامر إلى خادماتك بأن ينهين مهماتهن ، فأما الكلام ، فهو من اختصاص الرجال ، وبالأحرى هو من اختصاصى أنا الذى آمر وأنهى فى هذه الدار . . . . " .

لاريب أن نظاما هذا شأنه يجرد الفرد — إذا ابتعد عن الأسرة — من أهم حقوقه الشخصية ، إذ أن أهميته الاجتماعية بل إن أمنه واطمئنانه على حياته واستمتاعه بماله وقوته ، كل ذلك يأتى إليه من لدن تلك الهيئة المقدسة المسماة بالأسرة . وكما أن الأسرة هى مصدر الغنم هى كذلك تشترك فى الغرم ، إذ لا يكاد أى فرد من أفرادها يقترف جريمة أو إثما أو يحدر إلى مخزية من المخزيات حتى تهوى كلها تحت المسئولية وتحتمل النتيجتين المادية والأدبية لهذا العمل .

أما الثروة العقارية للأسرة فلم يكن انتقالها إلى الأفراد مباحا، وإنما كانت ملكا عاما لهيئتها تبقى ببقائها وتنتقل بالوراثة دون أن تتجزأ أو تتعرض للتصرفات التي تقتضي خروجها من يد الأسرة . وكما كانت القسمة والتجزئة والبيع أمورا غير مباحة ، وكذلك كانت الوصية والهبة العقاريتان غير مألوفتين ، بل ولا معروفتين ، وقصارى القول : لم يكن رب الأسرة مالك الثروة إلا لأنه ممثل الأسرة ، وبعبارة أدق : كان حارسا عليها أكثر من كونه مالكا إياها ، ولهذا كان لزاما عليه أن يعتبرها وديعة عنده يردها قبل موته كما تسلمها يوم توليه زعامة الأسرة . ويصور لنا أفلاطون هذه الحالة إذ يقول في هذا الشأن ، " أنا لا أنظر إليكم ولا إلى ثرواتكم على أنكم ملك لأنفسكم ، وإنما أنظر إليكم على أنكم ملك لأسرتكم كلها ، وبعبارة أوضح : ملك لأجدادكم وأبنائكم وأحفادكم " .

غير أن هذه الأسرة المترامية الأطراف التي شاهدنا صورتها عند هومروس لم تظل كذلك طوال العصور الأثرية الإغريقية ، وإنما أخذت بعد العصر الحماسي تتجزأ إلى أسر أقل اتساعا ، فتنفصل منها أفرع غير أساسية فيها ، كأن تتبع البنات أزواجهن إلى حيث تقيم أسرهم بعد أن كن يثوين مع أولئك الأزواج في منزل والدهن .

عند الرومان :

على نفس هذه الصورة الأخيرة التي تركنا الأسرة عليها عند الإغريق نلفي الأسرة الرومانية تقريبا ، إذ نجدها قد تفرعت قليلا بحيث أصبح الذين يقيمون مع رئيسها هم : زوجه وأولاده إلى وفاته ، وبناته إلى يوم زواجهن ، وأعوان الأسرة وحلفاؤها من الطبقة الوسطى وعبيدها . ولكن الأسرة الرومانية الحقيقية كانت تتميز عن هذا الخليط الواسع الملحق بها والذي كان يثوى معها تحت سقف واحد بميزة أساسية ، وهي اتصال افرادها عن طريق الدم الأبوي فحسب ، بحيث كانت القرابة النسائية من المهانة إلى حد تقديم الحلف عليها في أكثر الحقوق . وقد نشأ ذلك من أن الوالد كان كل شيء ، وتركزت فيه جميع السلطات فكان له الحق في تسريح زوجه والاعتراف ببنوة أولاده أو جحودها ، وفي تزويج أبنائه وبناته ، وفي تبني من شاء وإلحاقه بالأسرة ، وفي تعيين وصي على زوجه وأولاده ، وكان هو وحده المالك الشرعي لثروة الأسرة بحيث كانت الزوج والأولاد لا يملكون شيئا خاصا ، بل إن المال التقليدي الذي تملكه السيدة بزواجها كان ينتقل بطريقة آلية إلى زوجها .

الدين الأثري في إغريقا وروما :

إذا كنا قد رأينا أن سلطان رئيس الأسرة في إغريقا وروما كان قويا إلى هذا الحد ، فإن سبب ذلك راجع إلى أن مصدر هذا السلطان هو الدين ، إذ أن ذلك الرئيس كان قبل كل شيء كاهن الأسرة والمشرف الأعلى على جميع الطقوس الدينية فيها . ولما كان الدين

فى تلك الأصقاع إذ ذاك أسريا محضا أى أنه لم يكن يقول لمعتنقه — وهو يشير إلى إنسان آخر — هـذا هو أخوك ، كلا ، وإنما كان يقول له : هذا أجنبي عنك بدين بغير دينك ولا يستطيع أن يساهم فى عبادتك المنزلية ولا ان يقترب من مقبرة أسرتك ، وبالإجمال : له آلهة غير آلهتك ، ولهذا فإن آلهتك ينبذونه ويرفضون عبادته وينظرون إليه على أنه عدو لهم ، فيجب أن يكون عدوا لك أنت أيضا .

لسيادة هذه التعاليم بينهم لم يكن أحد يدعو بالخير لغير نفسه وعشيرته ، وبالتالى هى أنست الفرد واجباته نحو بنى الإنسان ، ولكنها فى مقابل ذلك قد صيرت واجب الأسرة قوى الدعائم ، ثابت القوائم . إذ هى التى منحت الرئيس كل هذه السلطات التى كان لها الفضل الجوهرى فى الاحتفاظ بالأسرة نقية من الشوائب ، بعيدة عن الدنايا والمخجلات . ومما يجدر بالذكر هنا الإشارة إلى أن الدين هو الدافع الوحيد الذى حمل الأسرة الرومانية على أن تسمح لأعوانها وحلفائها من الطبقة الوسطى بالالتحاق بها والاجتماع معها حول النار المقـدسة ، بل بتقديمها إياهم على ذوى القرابة النسائية . وكذلك الدين هو السبب فى وضع الابن المتبنى فى منزلة الابن الحقيقى ، بل قد غالى الرومان فى هـذا إلى حد أن منحو الولد المتبنى الحق فى وراثة العرش .

عند الجيرمان :

على عكس ما رأينا فى إغريقا وروما نشاهد الأسرة فى الشعوب الجيرمانية المعروفة فى التاريخ باسم بربرة الشمال والتى غزت فى القرون الأولى للميلاد المسيحى الغرب المتمدين ولا سيما الأمبراطورية الرومانية ، فنحن نلفى نظام الأسرة فى تلك الشعوب أكثر رقيا ، وسلطان الأب أعظم اعتدالا ، إذ نجد القاعدة العامة هناك هى أن الثروة مشتركة بين الزوجين ، وأن القرابة الأمومية معتبرة فيها الى حد الاعتراف بسلسلتها كالسلسلة الأبوية سواء بسواء فى الحقوق والواجبات ، وليس هذا فحسب بل ان كل فرد من أفراد الأسرة كان يستطيع امتلاك ثروة عقارية خاصة يتصرف فيها كل التصرفات الشرعيـة . ولقد كانت الأسرة تتألف إذ ذاك من الزوجين وأولادهما وأحفادهما الذكور ومن لم يتزوج من الإناث .

هذا ، ويرى علماء الاجتماع ولا سيما دوركيم أن الأسرة الزوجية الأوروبية العصرية تقترب من الأسرة الجيرمانية أكثر مما تقترب من الأسرة الرومانية ، وهى لا تكاد تختلف عنها فى الجوهر الا من حيث ضيقها وانكماش حجمها .

الدكتور محمد غلاب
أستاذ الفلسفة بكلية أصول الدين بالجامعة الأزهرية

مشروعات ما بعد الحرب

كلمة الدكتور سيد كريم فى افتتاح المؤتمر الهندسى الأول

ما أشبه اليوم بالأمس — الأمس البعيد القريب .

البعيد لبعده عنا ، فقد طوى عليه التاريخ صفحات ثلاثة آلاف عام ، والقريب لدورة عجلة الزمن ، التى دارت بالتاريخ ليعيد نفسه و ينعقد مؤتمرنا الهندسى الثانى بعد مرور تلك القرون الثلاثين على المؤتمر الأول ، ذلك المؤتمر التاريخى الذى عقده الملك " أخناتون " من رجال العلوم والفنون . لقد أثمر المؤتمر الأول ثمرته فوقام التاريخ حقبه حينما كلل عصره بوصفه " العصر الذهبى " كما اتفق على تسميته جميع المؤرخين .

أثمر ثمرته فكان له الفضل فى تلك النهضة التى ظهرت فى جميع مرافق الحياة ، وذلك التطور فى مختلف الفنون والعلوم : فى الرسم والنحت ، فى العمارة والانشاء فى العمران وتخطيط المدن ، فى الموسيقى والأدب . . . فى العقيدة وحرية الفكر .

فمبادىء " السوريالزم " و " الفوتورزم " فى فنون النحت والتصوير ترجع الى ذلك العصر ، وكثير من نظريات التحرر فى العمارة والإنشاء وتخطيط المدن وجدت لها مرجعا فيما خلفته تلك النهضة من آثار . وها هو ذا مؤتمرنا الهندسى الثانى ينعقد فى ظروف كثيرة الشبه بظروف المؤتمر الأول ، فكلاهما انعقد للتعمير بعد التدمير ، وللاستقرار بعد الحروب ، وجلس على عرش وادى النيل فى كليهما ملك شاب . وها مؤتمر اليوم الا ثمرة من ثمرات كلمة الفاروق الخالدة التى وجهها الى شباب الوادى عندما اعتلى عرشه .

ان كان عندنا ما نقدمه على منضدة البحث فى مؤتمر اليوم ، فهو ذلك النداء الذى تجاوب فى العالم صداه . . . ولم تشغله مطالب الحرب وويلاتها عن التفكير فيه والتمهيد له . . . ذلك العالم الذى اتسم بطابع السرعة — فى الحركة والتطور والفكر والتنفيذ . . ذلك النداء ما سموه " بمشاريع ما بعد الحرب " .

فعلى الرغم من أن الحرب لم تنته بعد ، الا أن كثيرا من الدول قد انتهت فعلا من بحث مشاريع ما بعد الحرب ، ووضع برامجها واعدادها للتنفيذ ، فماذا أعددنا نحن من مشاريع وكان عندنا من الوقت متسع أكثر من غيرنا ، لقد أخذ الغرب حضارته من الشرق ، وأخذ مكانه من قافلة التطور ، لأنه استمر فى الحركة . فلنتحرك مع العالم ، ولتكن خطواتنا معه ، فالحركة هى التى توحى بالحياة ، والحياة هى التى تكتب صفحات التاريخ .

إذا ألقينا نظرة سريعة على ما قمنا به قبل الحرب من مشروعات فى جميع مرافقنا الحيوية الجديدة وما خرج منها الى حيز الوجود ، وجدنا أن معظمها لم يثمر ثمرته المرجوة لتخبطها المستمر بين التعديل والتبديل ، أو للتعجل فى تنفيذها قبل استيفاء دراستها حتى تتفق مع مطالبنا وظروفنا من اجتماعية واقتصادية ، أو قبل وضع برامجها التنفيذية كاملة ، كما أنه لم يكن للمهندس رأى فى معظمها ، ورأى فى تنظيم البرنامج نفسه الذى هو أعظم أهمية من رسومات المشروع وتفاصيله الهندسية أو الزخرفية .

ان مشاريعنا الاصلاحية بصفة عامة ينقصها أهم ركن من أركان النجاح ، وهو ضمان الاستمرار وتتابع التنفيذ ، والتى يعبر عنها هندسيا "بشبكة البرنامج المقفلة" ، فأى مشروع إصلاحى كان أو عمرانى قبل أن يخرج الى طور التنفيذ يجب أن ينضج من حيث علاقة الاستهلاك بالانتاج . والاستهلاك هنا هو ما يستنزف من مجهودات ومصاريف ، والانتاج هو ما نحصل عليه من نتائج عملية فعالة ، وهو ما لا يتأتى الا اذا وضع المشروع على شكل شبكة فاكية مرتبطة الدورة والحركة ، أو نعمل على السيطرة التامة على القطر بأكمله قبل أن نضع أساس أى حجرة من حجرات المبنى يجب أن ننتهى أولا من تصميم المبنى بأكمله .

فاذا رجعنا إلى ما قامت به أية دولة من الدول التى قفزت فى بضع سنوات قفزة من جمودها لتحتل مكانها بين كبريات الدول التى احتلت الصدارة فى قيادة العالم الحديث ونهضته ، نجد أن الفضل فى ذلك راجع الى مشاريعها الكبرى التى عرفت كيف تنظم خطوات تتابعها فتجنى ثمارها كاملة . . وتحدد ميعاد الحصاد . وهو ما أسموه بمشاريع السنوات الأربع أو الخمس تبعا لعدد السنوات التى وزع عليها تنفيذ البرنامج بأكمله ، أو مجموعة ثابتة من خطواته .

ستختلف مشاريع ما بعد الحرب عندنا عن مثيلاتها فى بقية الأمم التى نريد أن نقتدى بها فى وضع برامج مشاريعنا الأصلاحية والحيوية فيما يلى :

١ — فى المرافق التى تأخرت عن قافلة المدنية بعدة أجيال ستحتاج إلى خطوتين من المشروعات : الخطوة الأولى وتسمى بمشروعات الانتقال ، أى الانتقال من الجمود إلى الحياة ، أى دفع الأمة فى طريق الحركة . والخطوة الثانية دفعها فى طريق النموذجية ، كما هو الحال فى مشروع فترة الانتقال ، يجب أن يسبق القرية النموذجية ، وجامعة القرية يجب أن تخط قبل المدرسة المثالية .

٢ — فى المشروعات المرتبطة المرافق سنجد أنه من الضرورى لإمكان تحقيقها عمليا واقتصاديا الالتجاء إلى البرامج التعاونية أو المندمجة ، أى ضم عدة مشاريع فى شبكة واحدة حتى يكون الاصلاح متكافئا فى جميع النواحى اقتصادا فى المصاريف والحركة الادارية والمجهودات اللازمة كالتأمين الصحى ، والتقاق والزراعى ، والتعاون الاقتصادى والاجتماعى للقرى والتى يمكن السيرها متكاتفة تحت سقف واحدة كمشروع جامعة القرية .

٣ — السير بالمشاريع الاقتصادية الانتاجية "ذات الرصيد الدائن" متوازية مع المشاريع الاصلاحية " ذات الرصيد المدين " فضعف الاولى سيشل حركة الثانية ، فمشاريع إصلاح القرية مثلا يجب أن تسير متوازية مع مشاريع التحول الزراعى إلى الصناعى الزراعى ، ومشروعات التعمير والمواصلات يجب أن تسير متوازية مع مشروعات استغلال الثروة المعدنية والقوى الكهربائية حتى نضمن التوازن الاقتصادى اللازم لاستمرار التنفيذ ، وتسدد أحدهما دين الاخر .

٤ — الاستقلال بالمشروعات الكبرى وفصلها عن أداة الروتين الحكومى ، فيجب أن يكون هناك مثلا هيئة خاصة تستقل ببرنامج التأمين الصحى وإنشاء المستشفيات من حيث وضع المشروع وتصمياته وتتبع خطوات تنفيذه حتى ينحصر البحث والمسؤولية ، فتضم الهيئة جميع المختصين من رجال العلم والبحث والادارة والفن والاقتصاد على منضدة واحدة يوضع عليها المشروع ، فنضمن استمرار دورة شبكته الفلكيـة ويبقى بعيدا عن المؤتمرات السياسية والدوافع الحزبية فلا تتغير عواملها .

والآن ماهى "مشروعاتنا لما بعد الحرب" ، تلك المشروعات التى نحن مطالبون بوضع نواتها فى مؤتمر البوم ، والتى يجب أن نتكاتف على وضعها فى مقدمة أبحاثنا الجامعية ، ومشاريعنا الهندسية ، وأبحاثنا العامة والخاصة ، ونفرغ من وضع شبكة كل منها المتقفلة قبل نهاية الحرب حتى يودى مؤتمرنا رسالته المرجوة كاملة .

كلما تردد اسم "مشاريع ما بعد الحرب" فى الأفق ، قفز فى المقدمة مشروع " التعمير بعد التدمير" تعمير المدن التى وطأتها أقدام "مارس" آله الحرب ، تلك الأقدام التى أبت ألا أن تدك معالم العمران فى كثير من مدن العالم المتمدين ، أما عندنا فقد سلمت مدننا الكبيرة من أقدامه ، ولكن للأسف نالها من أقدام الزمن أكثر مما نال غيرها من أقدام "مارس" نالها من تخريب السلم أكثر مما نال غيرها من تدمير الحرب .

فليكن أول مشاريع التعمير عندنا إذا هدية المؤتمر إلى الفاروق تلك الهدية التى سيطالب كل معارى من أعضاء المؤتمر بالمساهمة فيها وهى : " قاهرة الفاروق " .

فكما خلد التاريخ اسم قاهرة "عمرو" وقاهرة المعز "صلاح الدين" وقاهرة "محمد على" وقاهرة " اسماعيل " ، وكان كل منها رمزا لتحول عمرانى ، وتطور تخطيطى وإنشائى ، سارت به عاصمة الشرق مع خطوات التطور وقادت قافلة المدنيـة ، يجب أن تكون أول قرارات المؤتمر وضع مشروع "قاهرة الفاروق" ، نريد " قاهرة الفاروق" بتخطيطها المدنى الذى يعبر عن العصر الحديث وحيويته ، بشوارعها وميادينها التى تساير حركته وطرق مواصلاته ووسائل نقله ، بميادينها العامة ومنشآت حضارتها التى تمثـل احتياجاتها وتخفق بروحه ، بعمارتها وطابعها الذى يجاوب ضربات نبضه ، بعوامل امتدادها واتجاهات العمارها التى تسبق بها عجلة التطور فلا تتعثر بها ، بمعالم حضارتها التى ستكتب تاريخ حاضرها وتمهد لمستقبلها .

يجب أن نقفز بها أوسع خطوة فى تاريخها العمرانى لنلحق القافلة التى كنا نقودها فى الماضى ، ذلك الماضى الذى استهوانا سحره فعشنا فيه و بقيت أقدامنا مشدودة اليه ، وصحونا لنجد القافلة قد سارت وعلينا أن نلحقها .

يجب أن تدب الحركة والحياة فى أحيائها الوطنية التى بدأت تتحول معظمها إلى مقابر للأحياء، إننا وجدنا مسؤولون عن وضع مشروع عمرانى كامل يوضع له برنامج تنفيذى واقتصادى يخرجه إلى حيز الوجود فى سنوات محدودة ، فعند ما تحتفل القاهرة بعيدها الألفى نجد معالم حضارة ومدنية عصرنا ممثلة أصدق التمثيل بجانب كل عصر من عصورها التاريخية .

سنجد أنفسنا مضطرين فى هذه الحالة إلى مطالبة الحكومة بالتعجل فى إخراج مشروع بلدية القاهرة إلى حيز الوجود ... تلك البلدية التى ستحمل رسالة التنفيذ بعد ما نضع بين ايدينا خلاصة أبحاثنا .

لما كانت جلسة اليوم لا تتسع لسرد مشاريعنا الكبرى ، أو مشاريع ما بعد الحرب مفصلة مع بيان كيفية معالجة كل منها من جميع نواحيه ، ووضع مسقط شبكته وخطوات دورتها ، وهو ما كنت أود أن تتاح لى فرصة شرح بعضها ، لذا سأكتفى الآن بتقديم ملخص سريع لتلك المشاريع التى قمت ببحث بعضها ولازلت أعالج بعضها الآخر ، وسأقدمها مفصلة ضمن أبحاث المؤتمر :

١ — بعد وضع "قاهرة الفاروق" فى رأس القائمة يأتى محو الأمية، وهو أول مشروع يجب أن ينال اهتمام الشرق بأجمعه، و يشمل برنامج جامعة القرية الذى يجمع بين الانتقال والتطور وادماج عدة نواح من مرافق الاصلاح فى إطار واحد .

٢ — تعمير المدن وتنسيقها، وهو برنامج رغم ضخامته، إلا أنه لو كرس كل عضو من أعضاء جمعيات المهندسين جزءا من عمله لوضع مشروع تخطيطى لإصلاح مدينة مسقط رأسه الذى سيفخر بأنه كان له الفضل فى تقديم يد التنسيق والعمران اليها، لوجدنا فى النهاية مرجعا شاملا لتعمير القطر بأكمله يمكن الرجوع اليه فى ضبط خطوات التطور العمرانى .

٣ — البناء بعد الحرب ، فالمدينة هى البناء، وتاريخ حضارة الأمة هو ما تخلفه من مبان، فالانتقال من المواد الطبيعية إلى الصناعية ، ومن الصناعة اليدوية إلى الآلية، ومن الطرز التقليدية إلى العالمية مع اتزان خطوات التطور، هى رسالة المعمارى للعمارة بعد الحرب .

٤ — الفيلا أو السكن الخاص : واطار مصيره ومدى احتكاكه بالانتاج الصناعى الواسع المدى ، وعلاقته باقتصاديات المجتمع واحتياجاته الجديدة والتطور الاجتماعى .

٥ — التحول الصناعى ، أو الصناعى الزراعى : ومقتضياته العمرانية والانشائية وعلاقة منشآته بكل من الخامات وتوزيعها، والقوى المحركة ومصادرها، مع ما يتطلبه ذلك التحول من نشأة المناطق الصناعية، ومدن العمال واثرها فى القرية وتطورها العمرانى .

٦ — شبكة العلاج : وتوزيع المستشفيات وارتباط الوحدات الثابتة المتنقلة وارتباط البرنامج الإنشائى بتغيير حجم الوحدات مع خطوات التنفيذ

٧ — التأمين الصحى ، وتكوين جيل المستقبل : الوحدات الصحية الشعبية وتوزيعها بين الأحياء وأنواعها والمنشآت الصحية والحمامات العامة وحمامات السباحة ، والصحة المدرسية ورعاية الطفل ، وتكون فى مجموعها برنامج وقائى علاجى يسير متوازيا مع شبكة العلاج ومكملا لها .

٨ — الرياضة الشعبية : وأثرها فى تكوين الشعوب ثقافيا وصحيا وخلقيا واجتماعيا وقوميا و برنامج توزيعها على القطر بأجمعه وتنظيم برامجها الانشائية والادارية .

٩ — الثقافة العامة : وانشاء المكتبات الشعبية والقروية ووسائل نشر الثقافة عن طريقه المطبوعات الشعبية والسينما والاذاعة وستشمل برنامجا معماريا وانشائيا واسع النطاق يسير متوازيا مع خطوات محو الأمية .

١٠ — الأحياء الفقيرة : بين التعمير والتدمير — تطهيرها من أمراضها وانقاذها من الانحلال و برنامج هدمها واعادة بنائها .

١١ — التعليم بعد الحرب : واصلاح برامج الثقافة المعمارية ومدد دراستها الجامعية والعلمية والصناعية والتطبيقية — حتى تؤدى كل منها رسالتها الثقافية كاملة و باخلاص لتحمل شعلة تاريخ الأمة المعمارى الحديث .

١٢ — المساكن الجامعية : ودور الطلبة سواء فى المناطق الجامعية أو فى مناطق السياحة فى أنحاء القطر حتى يجد الطالب بيتا أينما حل يشجعه على كثرة التنقل و يجد فيها الطالب الأجنبى مضيفة تدعوه إلى زيارة مصر والاتصال بطلبتها .

١٣ — شبكة الانتقال و برنامج انشاء الطرق : التى هى بمثابة الشرايين التى يتدفق فيها دم الاصلاح إلى المدن الصغيرة ومنها إلى القرى ، فالمدن الكبيرة سارت مع العصر لأن المسافة بينها و بين أوربا وأمريكا أصبحت أقرب منها بينها و بين القرى المجهولة .

١٤ — طرق المواصلات ووسائل النقل : وأثرها فى التخطيط المدنى وانشاء الطرق والمطارات والمنشآت اللازمة لها ، فمصر ستصبح بحكم مركزها محطة التقاء جميع الخطوط العالمية .

١٥ — استصلاح الأراضى : الصحراء قابلة للتحويل إلى غابات بريها بماء البحر المالح والجزء الأكبر من الصحراء الكبرى اذا غمر بالماء تحول الوادى الى منطقة للامطار والأراضى البور لازالت تغطى من المساحة مسطحا ، ولهذا التحول وذلك الاستصلاح برامج معمارى انشائى واسع النطاق .

١٦ — السياحة وتنظيم مناطقها : فعندنا من المناطق ما يمكننا أن ننافس بها كبريات مناطق السياحة العالمية المشهورة سواء ما كان منها للصيف أو لاستشفاء أو الرياضة أو الصيد —

عندنا سواحل البحر الأبيض والأحمر وشواطئ البحيرات والجبال والواحات وعيون الاستشفاء والآثار مما لو أحسنا استغلالها ووضعنا لها برنامجا إنشائيا وعمرانيا منظما لأصبحت مصر قبلة السياحة فى العالم أجمع .

١٧ — نهر النيل : الذى يعد من أجمل أنهر العالم ، يجب إعداد برنامج كامل لتجميل شواطئه وتنسيقها والاستفادة منها حتى يأتى اليوم الذى يتغنى العالم بجماله كما خلد الدانوب والفولجا والراين فى ألحانه .

١٨ — آثارنا المصرية : وبرنامج المحافظة عليها ، لقد زينت بها عواصم بعض الدول الغربيـة ميادينها وتركناها نحن ملقاة فى الوديان او مقفلة فى المخازن ، فالثابتة منها ستدخل ضمن برنامج هدم الأحياء الفقيرة وإعادة تنظيمها ، والمنقولة منها سنجد لها مكانا فى قاهرة الفاروق ومدن الغد .

تلك هى مشروعات ما بعد الحرب التى يجب أن تكون ضمن قرارات مؤتمر اليوم ، والتى يجب أن ننتهى من بحثها ودراستها قبل أن تنتهى الحرب ، فنقدم فى المؤتمر التالى ثمرة ما قمنا به من أبحاث ، وما نكون قد أتممناه من مشروعات .

دكتور سيد كريم

"وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا".
(قرآن كريم)

يوم العاجزين غد . (شاعر) .

الزواج . . .

للاستاذ يحيى هويدى

الزواج رابطة تنشأ بين اثنين وتقوم على ثلاثة أسس لا غناء عنها فى فهم ما هية الزواج وتحديد المقصود منه . واذا قلنا إن الزواج يقوم على أسس ثلاثة ، فنحن نقصد أنه يقوم على هذه الأسس مجتمعة ، ولا بد من ثلاثتها لكى يفهم الزواج على وجهه الصحيح ، وهذه الأسس الثلاثة هى : أساس فيزيقى ، وأساس نفسى ، وأساس اجتماعى ، ولكل فريق أن يتحمس بعد هذا لميدانه الخاص ، ولكل أن يذهب فى تحمسه هذا إلى أبعد الحدود . فليأخذ عالم النفس مثلا الناحية النفسية فى الزواج ، ويوليها اهتماما خاصا غافلا عن الناحيتين الأخريين ، وليأخذ عالم الاجتماع الناحية الاجتماعية فيه ويشتط فى آرائه إلى غير حد حتى يرجع إلى هذه الناحية كل ما يتعلق بالزواج ، وليأخذ الطبيب بدوره الناحية الفيزيقية من الزواج ضاربا صفحا عن الناحيتين النفسية والاجتماعية فيه ، ليفعل إذن كل ما يبدا له ، ولكن لايسع الرجل المعتدل الا أن يوفق بين آرائهم جميعا ليظفر من هذا برأى مفيد حول الزواج .

أما الناحية الفيزيقية فى الزواج فهى أشهر من الناحيتين الأخريين ، وهى وحدها التى يعرفها رجل الشارع ولا يتعدى فهمه الضيق للزواج حدودها ، وهى عبارة عن اجتماع الطرفين اجتماعا يحقق النشاط الجنسى ويؤدى الى لذة نوعية خاصة .

على أننا اذا لم نفهم الزواج الا من ناحيته هذه وقنعنا بالجانب الحيوانى منه ، فسنهوى بالانسان الى الدرك الأسفل ، وستفقد الانسانية أجل صفاتها . فالانسان مخلوق له اتجاهاته الفكرية وميوله النفسية والاجتماعية الخاصة به ، ولا بد أن نراعى هذا كله عند الحديث عن الزواج ، فلو نظرنا الى الزواج من الناحية النفسية مثلا ، لوجدنا أن فيه تحقيقا لرغبات نفسية وغرائز فطرية عند الرجل والمرأة ، فما أعظم اللذة التى يشعر بها الزوج فى احتماله المسئولية الملقاة على عاتقه . وهو وإن تقبلها مرة وسخط على الزواج من أجلها مرات ، فهو سعيد بها على كل حال ، مطمئن اليها وان طالت شكواه . وما أعظم الثقة التى تملأ جنبات نفسه إذ يعول أسرته ويرضى غريزة الأبوة فيه ، وتلأم من جانبها الخاص ميولها واتجاهاتها النفسية التى تتحقق فى الزواج ، فهى تشعر باستقرارها فى كنف عاداها ، وتشعر أيضا بأنه كفء لها فتزداد بذلك تعلقا به وتطيب نفسها بهذا الشعور ، هذا المزيج من الرغبات النفسية التى وجدت ميدانا جديدا لتحقيقها ، وهذا الخليط من الغرائز الفطرية ، كل هذا له عالم خاص به وجانب هام فى الزواج .

واذا تركنا الجانب النفسى فى الزواج لكى ننتقل الى الجانب الاجتماعى منه ، وجدنا أن لكل مجتمع آراءه الخاصة وتقاليده واتجاهاته فيما يتعلق بهذا الموضوع ، ويتحكم المجتمع

فى الزواج منذ اللحظة الأولى : مراسيم الزواج ، شروطه ، ما يترتب على الزواج من ميراث وطلاق .. الخ ، هذا فضلا عن أن الزواج يرضى فى الانسان غريزة من أهم غرائزه وهى الغريزة الاجتماعية ، الأمر الذى يقرب بين الناحيتين النفسية والاجتماعية من الزواج بصورة واضحة .

تلك هى النواحى الثلاث التى علينا أن نفهم الزواج على أساسها ، وليس لنا بعد ذلك أن نفاضل بين هذه النواحى ، وليس علينا أن نجعل لهذه الناحية أهمية أكثر من تلك ، فان العلم لا يعبأ بالمفاضلة ، ولا يعنيه الا تقرير الوقائع كما هى دون مفاضلة بينها ، هذا فضلا عن أننا لن نجنى كثيرا أو قليلا اذا انتهينا الى أن هذه الناحية خير من الأخرى ، أو كان العكس هو الصحيح .

* * *

والآن ما الذى يدفع الشاب الى الزواج ؟ ان تفكير الشاب فى الزواج قد يتم بين عشية وضحاها ، وقد يقوم على تنفيذ ماعزم عليه دون ابطاء أو امهال ، ماذا يأمل فيه اذن ذلك الشاب الذى طلق حياة العزوبة وارتمى فى أحضان الحياة الزوجية ؟ وما الذى ينقصه فى حياته الأولى ويفكر فى إكماله بالحياة الثانية ؟ وبعبارة أخرى ، أى أساس من أسس الزواج الثلاث التى أشرنا اليها أجدر بالالتفات منا ، وأحق بالتفكير من جانبه ؟ أهى الناحية الفيزيقية بما فيها من إشباع لنشاطه الجنسى ؟ أهى الناحية النفسية بما فيها من تبادل للعواطف بين الطرفين وارضاء لاتجاهات نفسية متعددة ؟ أهى الناحية الاجتماعية بما فيها من قيام روابط أسرية كانت معدومة ؟

من التجنى على الزواج أن نجعل قيمته قاصرة على ناحيته الفيزيقية فحسب ، فقد لا يفكر الشاب عند إقباله على الزواج فى ارضاء هذه الناحية اطلاقا ، وقد لا يعيرها أدنى اهتمام ، ومع ذلك يقبل على الزواج بثبات دون تردد . بل ان حال شبابنا فى مجتمعاتنا الحديثة هى نفس هذه الحال ، فان الكثير منهم قد أطاع صوت الشيطان مرات ، وأرضى الدافع الجنسى مرات ، ومع ذلك فهو يقدم على الزواج . وهذا مايدعونا الى التفكير فى الأساسين الآخرين اللذين يقوم عليهما الزواج . ومن ناحية أخرى فنحن نرى أن بعض الزيجات لا يحقق هذه الناحية الفيزيقية — بعد مضى وقت — لعائق من العوائق ، ومع ذلك فان أحدا لا يستطيع أن ينكر قيام هذه الزيجات بل ونجاحها .

فالشاب اذن لا يقدم على الزواج لتحقيق الغرض الفيزيقى منه فحسب ، ولن تستطيع أن تظفر بشاب له هذا الرأى فى الزواج .

الحق أن الشاب الذى يقدم على الزواج لابد أن يكون مقتنعا بقيمته من الناحية النفسية والاجتماعية ، انه يود شريكة له فى الحياة ، تبادله العاطفة وتخلص اليه النجوى وتشيع فى جنباته الهدوء والطمأنينة ، انه يود زوجة يفزع اليها عند غضبه ويأسه ، فتبدهد من

ثار نفسه المتهبة وترد عليه أمنه وأمله ، ثم بعد هذا كله أليس هو بكائن اجتماعى ؟ انه ضجر من الحياة التى عاشر فيها نفسه سنوات ، أعنى حياة العزوبة ، وهو يتطلع الآن الى حياة أجدى عليه وعلى أمته ووطنه من عزلته التى احتملها كارها أعواما وأعواما . انه يقصد الى حياة اجتماعية حتة ، بكل ما فى هذه الكلمة من معنى .

انه أقبل اذن على هذه الحياة الجديدة لما وجد فيها من وسيلة لتحقيق غرائزه النفسية وميوله الاجتماعية ونشاطه الجنسى ، وكل هذا مجتمع ومتداخل ومتشابك معا ، وليس الزواج بعد ذلك قاصرا على الناحية الجنسية فيه ، بل ان الناحيتين النفسية والاجتماعية أحق بالنظر وأولى بالاعتبار من هذه الناحية .

قال الله تعالى « هو الذى خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة » . فهذه الآية الكريمة تشير ابلغ اشارة الى الناحيتين الاجتماعية والنفسية فى الزواج ، فقد خلق الله لنا زوجات لنسكن اليها ، نحن معشر الرجال ، ولنحيا معهن حياة اجتماعية ، ولنعاشرهن معاشرة نطلق فيها حياة العزوبة ، ونحقق فيها غريزتنا الجمعية ، ثم أشارت الآية بعد ذلك الى الناحية النفسية فى الزواج ، فالزواج وسيلة لقيام المودة والرحمة بين الزوجين ، وفيه ارضاء لميول نفسية متعددة وتفهم للمشارب والأذواق بين الاثنين .

نظرة الى تقاليدنا !

واذا كان الزواج ليس ميدانا لإشباع الميول الجنسية فحسب ، بل فيه تحقيق لميول نفسية واجتماعية الى جانب ذلك ، فلا بد أن نرتب على هذا نتيجة طبيعية ، فلو نظرنا نظرة عابرة الى تقاليدنا المصرية ، وجدنا أن الوالد كان ومازال ، يحرص على إخفاء ابنته عن طالب يدها حتى يصبح أمر زواجهما ثابتا مؤكدا ، أجل ! ان عددا وافرا من الآباء قد تحلل من هذا التقليد ورمى به وراء ظهره ، ولكن مازال البعض منهم يحترمه ويرى أن الخير كل الخير ألا يرى "الخطيب" ابنته الا فى وقت متأخر ، فالى هؤلاء الآباء المحافظين ، والى الآباء الذين تحللوا من هذا التقليد دون أن يفهموا الحكمة من وراء ذلك أوجه الحديث فأقول :

" أجمعت الشرائع على أن الزواج ليس رابطة جنسية فحسب ، بل ان شريعة ما من الشرائع لم تذكر هذا التعريف للزواج اطلاقا . وقد فصلنا هذا سابقا وقلنا ان الزواج له ناحية نفسية وأخرى اجتماعية جديرتان بالاعتبار الى جانب ناحيته الغريزية ، فاذا جئنا بعد هذا وقلنا بضرورة التمسك بهذا التقليد القائل بألا يرى الشاب شريكة حياته الا فى يوم الزواج مثلا ، فمعنى هذا أننا ننظر الى الزوجة نظرة لا تليق بها ، وأنزلناها منزلة دنيا ،

وقصرنا علاقتها مع زوجها على الناحية الجنسية ، وفى هذا مغالاة كما سبق أن قلنا للغرض الصحيح من الزواج . وتفصيل ذلك أنه لو كان هذا الأب قد نظر الى الزواج هذه النظرة التى نظرناها نحن ، ما كان يفكر مطلقا فى أن يحتفظ بهذا التقليد الذى لامبرر له ، ولو كان قد وقف على ناحيتى الزواج النفسية والاجتماعية ما كان نظر الى ابنته وزوجها هذه النظرة الضيقة ، ولما اعتبر أن الزواج وسيلة لتحقيق النشاط الجنسى عند الاثنين فحسب ، ولو كان قد نظر الى كل منهما على أنهما كائنان لهما ميولهما النفسية والإجتماعية ، فوق ميولهما الجنسية ، لأتاح لهما فرصة الاجتماع لتبادل الآراء وليقف كل على مشارب الآخر وأذواقه وميوله . ان الزواج القائم على أسس نفسية صحيحة كما قال "أكستر" هو خاتمة المطاف بين اثنين ؛ وليس من الضرورى أن يبدأ فى يوم الزواج .

والثورة على هذا التقليد العتيق لها نتائج طيبة ، فنحن نعلم أن كل عمل لا بد أن يسبق بمقدمات ، وكل مشروع لا بد أن يهيأ له الجو الصالح قبل تنفيذه . أليس الزواج بدوره — باعتباره مشروعا لحياة مستقبلة طويلة — أجدر بهذه المقدمات وأولى بهذه التهيئة ؟

فمن تلك المقدمات التى لا بد أن تسبق الزواج ، أن ترفع الكلفة بين الزوجين حتى يكون لهما من الجراة ما تسمح لهما بالتوجه بصحبة ذويهما مثلا — الى الطبيب للكشف عليهما طبيا . وهذا ما يسمونه بالاختبار الطبى السابق للزواج .

وهناك نوع آخر من التهيئة للزواج أكثر أهمية من الأولى ، وهذه التهيئة تهيئة نفسية فى حين أن التهيئة الأولى تهيئة فيزيقية . فعلى كل من الزوجين ، وعلى الزوج بصفة خاصة أن يقوم بتعرف عواطف الزوجة واتجاداتها الفكرية والعاطفية . وليس بكاف أن يقتصر الأمر على المعرفة بل يجب أن يتحقق بين الاثنين انسجام تام فى المشارب والأذواق لكى تتحقق السعادة فى الحياة الزوجية المقبلة . ولن يتيسر هذا كله إلا إذا قضينا على هذا التقليد الذى أشرنا اليه .

وبعد ، فهذه ملاحظات عابرة عن الزواج قصدت من ورائها إلى شيئين :

(أولا) إلى بيان قيمة الزواج من ناحيته النفسية والاجتماعية لكى نفرق بذلك بين الحرارة الحيوانية فى النشاط الجنسى للحيوان وبين الزواج بما فيه من نواح نفسية واجتماعية متعددة .

(ثانيا) ومن ناحية أخرى ، فقد قصدت إلى إبداء ملاحظاتى الشخصية عن تقاليدنا المصرية فى هذا الصدد وما يعتور هذه التقاليد من نقص وفساد .

يحيى دويدى
المدرس بأسوان الثانوية

التدخين . . .

هل نستطيع أن نبرأ من هذا الداء ؟

للدكتور عمر شوقى

منذ عقدين من السنين على الأكثر كان التدخين مقتصرا على الرجال وربما على المتقدمين فى السن دون سواهم ، فاصبحنا اليوم نرى السجاير فى أيدى أحداث السن حتى غلمان الأزقة والحوارى ، وفى أيدى السيدات المصريات بل والفتيات الأوانس وحتى المتأنقات المعجبات بجمالهن وقد ، ارتضين لأنفسهن تلويث أسنانهن وهى كاللؤلؤ المنضود بلون التبغ الكريه وتشويه أفواههن برائحته البغيضة ...

وما أدق وأحكم ما قاله أحد الظرفاء عن التدخين وهو أنه (ضريبة اختيارية فرضها المدخن على نفسه طواعية ليدفعها من صحته وماله) .

حقا إنها لضريبة اختيارية لم يفرضها مرسوم ملكى ، ولم يحتم أداءها قرار من مجلس الوزراء ، ولكن هذا الانسان الذى قلما يطيع النصح أو يعمل بالمشورة يدفعها طائعا مختارا وهو أشد ما يكون حاجة إلى الصحة ليدفع بها الضعف وإلى المال ليدفع به الفاقة .

ولقد حدانى البحث عن منشأ الدخان إلى معرفة اسمه المألوف فى اللغة العربية وهو (التبغ) ولعله مأخوذ من لفظة (تتن) باللغة التركية ومعناها دخان أيضا ، ويطلق عليه الغربيون فى لغاتهم أسماء (تاباك ، توباكو نيكوتيان) ، وأما اسمه باللسان النباتى فهو (نيكوتيان تاباكوم) .

هذا النبات أصله من أمريكا ثم ، انتقل منها إلى أوربا ثم إلى آسيا ثم انتشر بعد ذلك انتشارا عظيما ، وأنواعه كثيرة وكلها نباتات حشيشية سنوية وأوراقها كاملة وازهارها على هيئة عناقيد .

وقيل إنه حين دخل الأسبانيون أمريكا لأول مرة وجدوا التبغ فى الجزيرة المسماة (تباغو) من جزر أرخبيل الآنتيل) فسموه باسمها على حين أن اسمه فى هذه الجزيرة (بيتون) وكان فى مبدأ أمره لا يعدو أنه نبات ذو خواص دوائية . وأما استعمال مسحوقه سعوطا فلم ينتشر إلا بعد دخوله أوربا وكانوا يرون فى استعماله بدعة ذات خطر كالفها ملوك أوربا منذ سنة ١٦٠٤ وكذلك ملوك الشرق كانوا يتهددون من يتعاطاه بقطع الأنف أو بالقتل ، وعلى الرغم من هذه المكافحة انتشر استعماله سعوطا وتدخينا .

وأول من أدرك الفوائد المالية الناجمة عنه للمكلة هو ملك فرنسا فسمح بادخاله إلى بلاده واستعماله فيها بعد أن فرض عليه رسما باهظا ، وذلك فى أيام "هنرى الرابع" بواسطة

قنصله فى لبورتغال وكان اسمه (نيكوت) ومن هنا نشأ اسمه (نيكوتيان)، وعند ما عاد القنصل إلى فرنسا حمل معه السعوط من مسحوقه إلى الملكة ماري ، ولهذا يسمى التبغ فى بعض الأحيان (حشيشة الملكة)ومسحوقه (سعوط الملكة) وله من الأسماء أيضا (حشيشة القنصل) .

وظل يعرف بكل هذه الأسماء الى عهد لويس الرابع عشر، بيد أن استعماله لم يكن واسعا كما طرأ بعد ذلك، إذ حين سمح ملك فرنسا بدخوله ورأت بقية ملوك أوروبا منافعه سمحوا هم أيضا بإدخاله الى بلادهم ثم أخذ الناس فى استنباته فى الأماكن التى تناسبه بجميع أقاليم أوروبا ، والمظنون أن التبغ لم يعرف فى أوروبا إلا فى سنة ١٥٦٠ بينما أن (دريك) الأميرال الانجليزى حمله من فرجينيا إلى انجلترا قبل أن يدخل به القنصل (نيكوت) الى فرنسا .

وذكر (شريدان) فى كتاب رحلته إلى فارس سنة ١٦٦٠ أن التبغ طبيعى فى بلاد الفرس منذ ٤٠٠ سنة ، وزعم (ليبول) أن التبغ الصغير أى البرى نبات طبيعى فى أوروبا وأنه كان فيها قبل استكشاف أمريكا ولكن هذا القول تعارضه أغلبية المؤرخين .

وأنواع التبغ كثيرة أشهرها لكثرة استعماله (نيكوتيانا)، والتبغ البرى وينبت فى المكسيك ومنها التبغ الخشبى الساق وهو تبغ الصين .

وأنواعه كثيرة فى سوريا أيضا وهى من البلاد التى انتشر التبغ فيها انتشارا عظيما، وأكثرها الجبلى نسبة إلى بلاد (جبيل) وهو أخرها، ثم الريحانى نسبة إلى جبل" الريحان " وأبو ريحه وهو يستنبت حوالى (اللاذقية) ، وأنواع أخرى جمة لا حاجة بنا إلى ذكرها .

وأما عن صفته النباتية فجذوره سفوى وساقه قائم اسطوانى وأوراقه متعاقبة كبيرة بيضاوية الشكل لزجة قليلا وطول الورقة منها نحو القدم ويتصاعد منها — كبقية أجزاء النبات رائحة كريهة مخدرة .

وصفات التبغ الطبيعية أن أوراقه إذا كانت رطبة فان رائحتها كريهة مخدرة، وإذا كانت مختمرة ازدادت رائحتها قوة ولذاعة ولكنها مقبولة عند من تعودوا استعمالها .

وقد حلل التبغ العريض الورق فوجد فى عصارته مادة حمراء تذوب فى الكحول والماء، والزيت الذى يستخرج من التبغ بالتقطير جوهر "سام" شديد وهو غير الزيت الذى يتخلف فى إتمام التدخين ، ولربما كان الدرهم من ذلك الزيت كافيا لقتل انسان وان كان معتادا للتدخين وسكان جزائر (كاريبان) يستخدمونه علاجا للجراح المتسممة ، فاذا لم يوجد استعملوا بديلا منه عصارة الأوراق الرطبة ، وقد يضعون الأوراق نفسها على تلك الجراح .

وسبب انتشاره فى أوروبا هم البحارة الأسبان الذين قلدوا متوحشى أمريكا فى التدخين، ولما دخل كورستوف كولومبس أمريكا أرسل سنة ١٥١٥ بذور شجرة التبغ الى اسبانيا لتزرع فيها بصفته نباتا طبيا، كانت تعزى له بعض الفوائد لبعض الأمراض، ولم يتخيل إنسان أنه

تدخين هـذا النبات السام والذى من مركباته جوهر النيكوتين المهلك سيكون فى حيل من الأجيال من الشيوع والانتشار بحيث تكون نسبة باعة الخبز إلى باعة التبغ كنسبة ١ إلى ١٠

وطرق التدخين مختلفة والغالب منها وضع الأوراق بعـد فرمها رفيعة فى حجر موضوع فى طرف أنبوب من خشب أو قصب إما وحدها أو مع جواهر عطرية وقد تلف الأوراق بعضها على البعض وتسمى سيجار، وقد توضع مفرومة داخل لفافات من ورق أبيض كما هو شائع .

أما التنباك فلا يدخن إلا بعد غسله بالمـاء مرة أو أكثر، ويدخن فى الشيشة (النارجيله) أو الجوزة وهى الأكثر انتشارا بعد أن يمر الدخان بالمـاء الموجود به فيلطفه .

وأما السعوط (النشوق) فنذكر فى مقدمة المفرطين فيه (نابليون بونابرت)، فقد كانت علبته لا تفارقه لحظة ، وقد اعتـاد مدمنو السعوط الدفاع عنه بأنه يشفى بعض الأسقام كالصداع وآلام الأسنان والاستهواء والميل إلى النعاس ، ولكن الغالب أن استعماله ليس إلا تسلية للعاطلين ، وحسب مستعمليه الرائحة الكريهة التى تفوح منهم إذ تكون أنفاسهم رديئة ولحاهم وشواربهم قذرة حتى لقد قال بعضهم " لو أراد الله جعل الأنف من بلة لجعل أسفله أعلاه" .

وهناك طريقة أخرى وهى مضغ التبغ، وهى أشد الطرق ضررا بل إنها عادة همجية .

إحصائيات :

وقد قدرت مساحة الأرض التى تزرع تبغا فى العـالم سنة ١٩٢٣ بنحو ٤٠٠ ألف ميل مربع وما يستهلكه الناس سنويا من التبغ ٤٤٨٠ مليون رطل، وما يصرفه أهل مدينة نيويورك وحدها على التبغ سنويا ٣,٦٥٠,٠٠٠ دولار بينما أنهم لم ينفقوا على الخبز أكثر من ٣,٤٩٣,٠٥٠ دولارا .

وكانت مدينة فينا فى إحصائية سنة ١٨٥١ تستهلك سنويا ٣٧٧ مليون سيجارة، وألمـانيا ٨٠٠ مليون سيجارة .

والحكومة فى فرنسا وإيطاليا والنمسا والمجر وأسبانيا تحتكر تجارة التبغ ، ولقد حاولت الحكومة المصرية أن تعيد زراعة الدخان فى مصر على أثر هبوط أسعار القطن أثناء الحرب العالمية الأولى، وقد استخدمت للقيام بالتجارب بعضا من مهاجرى الأتراك فى حرب البلقان وهم من أهالى "قوله" ممن يجيدون زراعة الدخان واختارت لهذا الغرض عدة مساحات من مزارعها فى جميع أنحاء القطر، وقد نجحت تلك التجارب أيما نجاح ، وأنبتت أرض مصر أحسن وأجود أنواع التبغ ، ورأت الحكومة أن تقف على الأسعار التى يباع بها المحصول لتقارن بين إيرادها وبين الإيراد المتحصل من الجمارك رسوما عليه ، فاستدعت الأغلبية من

مشاهير أصحاب مصانع السجاير فى مصر وكلهم تقريبا يونانيون فلم يكن منهم إلا أن هبطوا بسعر الأقة إلى عشرين مليما مع أنهم يشترونها من محصول بلادهم — وهو أقل جودة بكثير — بألف مليم (وقتذاك) وهم يرجون من وراء ذلك تثبيط همة الحكومة المصرية عن زراعته فى مصر متى وجدت أن الإيراد من بيع المحصول لا يسد جزءا صغيرا من نفقات الزراعة .

ولقد نجحت المؤامرة نجاحا باهرا وعدل ولاة الأمور عن زراعة الدخان فى مصر وهذا هو الصنيع الذى يسديه ضيوف مصر والمتربون فيها إلى اهل مصر .

إن التدخين ليس (كيفا) كما يدعى المفرطون فيه ، ولكنه عادة ، والمرء كما يقولون أسير عادته ، لها حكمها عليه مثل بقية العادات ، وعادة التدخين عبارة عن مجموعة حركات يفعلها المدخن الواحدة بعد الأخرى .

فهو قد تعود أن يضع يده فى جيبه فيخرج علبة السجاير ثم يخرج من هذه سيجارة يضعها فى فمه ، ثم يشعلها و بعدها يحرك عضلات الفم بتدخينه إياها .

هذا حكم العادة ، وهناك عوامل أخرى تساعد على عادة تواصل التدخين فى مقدمتها :

(ا) ضعف المعدة ، إذ عند امتلائها يشعر الإنسان بضيق يسيء توهم أن السيجارة هى التى تزيل هذا الضيق أو بمعنى آخر تساعد على الهضم و إنه لتفكير خاطئ بل هو وهم .

(ب) أصحاب المزاج العصبى أشد نزوعا وأكثر ميلا إلى التدخين على حين أنه يزيد من حالتهم العصبية فيعمدون إلى الإفراط من التدخين وهكذا ، فهى حلقة مفرغة لا أول لها ولا آخر ، ولكن او فكر كل مدخن دقيقة واحدة من كل يوم فى الأضرار التى يجلبها عليه التدخين لتولد عن هذا التفكير عامل قوى يعاونه على الامتناع عن التدخين أو الإقلال منه .

وهناك أسباب أخرى قد تدفع إلى التدخين ، غير ما ذكرنا من ضعف المعدة وهى :

(١) زيادة الحموضة فى المعدة ، لأنها تدفع الإنسان أيضا إلى الإكثار من التدخين .

(٢) كثرة المسئولية ، فأعباؤها الباهظة تجعل صاحبها يفكر فى السيجارة .

(٣) الصدمات المكدرة ، وهذه تدفع الإنسان إلى القيام بحركة ذاتية تعود أن يفعلها ما بين وقت وآخر وهى عند المدخن حركة إخراج السيجارة و إشعالها توهما منه أن تدخينها يطفئ جذوة غضبه وكدره .

(٤) إكثار التدخين يسبب التهابا مزمنا فى داخلية الفم ، وهذا الالتهاب يتطلب الدخان أو يشعر الإنسان شعورا رهيبا به ، ويذكره بالسيجارة على حد قول الشاعر : (وداونى بالتى كانت هى الداء) .

(٥) إدمان الميسر وشرب الخمور من شأنهما أن يدفعا بضحيتهما إلى الإفراط فى التدخين حتى يصدق المثل القائل : (إن المصائب لا تأتى فرادى) .

مضـــاره :

والآن نذكر مضار التدخين ، فما هى هذه المضار ؟ وهل تخفى على أحد ؟

إنا لنذكرها هنا جملة ، وسنفصلها فيما بعد . نسب العلامة " لوجران " تزايد الأمراض العقلية فى العام إلى التبغ ، وقد جرب الأطباء ذلك فى المصابين بأمراض مخية بمنعهم من تعاطى التبغ فتوصلوا إلى نتائج عجيبة . ومن الناس من أصيب بوساوس وأوهام وخواطر مقلقة حرمته الراحة والطمأنينة ، وكادت تؤدى به إلى الجنون فلما ترك التدخين شفى تماما . ومن الحوادث المروعة التى سجلها التاريخ للنيكوتين (وهى المادة السامة فى التبغ) أن أصدقاء الشاعر (سانتول) اللاتينى والمتوفى سنة ١٦٦٧ ألقوا تبغا فى نبيذه فلما شربه الشاعر واستقر فى جوفه أحدث له من الآلام ما لا يمكن التعبير عنه وفارق الحياة على الأثر صريع هذا السم الخبيث .

وشوهد رجال وقعوا فى الحذر الشديد وماتوا على تلك الحالة لإفراطهم فى استنشاق دخان كثير من التبغ بمناخيرهم ، ومات ثلاثة أطفال ذات مرة بعد تكبد آلام لانطاق بسبب دهن امرأة من أدعياء الطب لرؤوسهم بمنقوع التبغ زعما منها أن ذلك يزيل عنهم قشور الرأس ، وحدث مرة أن مهربا حاول أن يهرب كمية من التبغ فلف مقدارا منها حول جسمه فتسمم جسده ومات بعد أن ذاق آلاما بليغة .

وقد جرب تأثير النيكوتين فى الحيوانات ، فثبت أنه من السموم الشديدة الفعل إذا أدخل منقوعه إلى معدة بعض الحيوانات أو فى منسوج جسمها الخلوى ، أو وضع على بثور فى جلدها وكانت النتيجة المحققة هلاكها . ولو أدخلت قطرة واحدة من زيته فى معدة رجل أو كلب لمات فى الحال بعد آلام وأوجاع لا يتصورها إلا من ذاقها .

وكما أن "الزهرى" يلقبونه (قرد الطب) لأنه يقلد كل مرض فى الانسان ، كذلك الدخان يمثل نفس هذا الدور لأنه :

(١) قد يسبب ذبحة صدرية وتسمى (ذبحة المدخنين) ولها آلام وأعراض الذبحة الصدرية نفسها بيد أن الأولى قد تستمر مدة طويلة وهى تظهر غالبا عند المدخنين ما بين سن الخامسة والأربعين والخامسة والخمسين .

(٢) كثرة إدخال النيكوتين — اسم الدخان — إلى الجسم يسبب الامساك المزمن بانقباض فى أية جهة من المصران وقد يكون الانقباض فى جهة المصران الأعور فيحدث اشتباه فى أمره بأنه الزائدة الدودية وعند ترك الدخان تتلاشى هذه الأعراض .

(٣) يسبب خفقانا فى القلب ولا سيما عند الرجال المصابين بالنورستانيا والسيدات المصابات بالهاستريا .

(٤) يحدث صداعا .

(٥) يزيد العصير المعدى وهـذا ينجم عنه الحموضة والتجشؤ (التكريع) مع آلام فى المعدة عقب الأكل وهذه الحالات تدفع صاحبها بتأثير الوهم للتدخين .

(٦) يسبب سرعة النبض وقليـلا ما يسبب بطأ فى النبض وقد وجدوا أن الجنود الذين يريدون الهروب من الجيش يعمدون إلى أكل الدخان فيزيد النبض .

(٧) يحدث تصلبا فى الشرايين ولاسيما شرايين القلب والأطراف (اليدين والقدمين) .

(٨) ينجم عنه التهاب مزمن فى المعـدة و بغض الطرف عن التسمم بالنيكوتين فان المـادة المتخلفة فى الفم من السيجارة يبتلعها المدخن مع لعابه .

(٩) فقدان الشهية للطعام وتغير طعم الفم مع إحداث رائحة كريهة فيه وكسوة اللسان بطبقة تشبه الصدأ مع ميل إلى القيء وشعور بانتفاخ البطن .

(١٠) يكثر التفكير القاتم المظلم وما أردأ نوم المدخنين لأنه لايخلو من الانزعاج :

وقد لايعرف الكثيرون أن اعترافات الأغلبية من المجرمين قد أثبتت أنه عند الشروع فى ارتكاب جريمته قد يصيبه التردد ولكنه لايكاد يدخن سيجارة حتى يقـدم على ارتكابها فورا .

وأكثر من هذا فان الاستمرار على التدخين يسبب ما يلى :

(١) الدوخة .

(٢) الهبوط الجنسى ، فان التدخين يؤثر على الأعصاب فيضعفها .

(٣) يزيد مرض الهستريا عند السيدات .

(٤) يزيد مرض النوراستانيا عند الرجال .

(٥) يحدث التهابا فى شفاه الفم والحنجرة ويتلف اللثة إلى حد أن تسقط الأسنان .

(٦) يزيد من سرعة الانفعالات النفسية الغاضبة .

(٧) يحدث التهابا بى الشفتين وينشأ عن ذلك استعداد فيهما لداء السرطان .

(٨) يحدث التهابا فى اللوز ممـا يساعد على الاصابة السريعة بأمراض البرد .

وكثيرا ماحدث أن استعمال البيبة سبب سرطانا فى الشفة واللسان .

(٩) يزيد النزلات الشعبية ويسبب التهابا فى القصبة الهوائية والشعب وقد ينجم عنه نزيف دموى عند المصابين بأمراض فى الرئة .

(١٠) الشعور بالتعب سريعا عند القيام بأية حركة .

(١١) وقد اكتشفوا أخيرا فى مصانع الدخان فى اسبانيا أن العاملات بها تقل العادة الشهرية أو تتلاشى عندهم .

والسجائر الإنجليزية والأمريكانية أشد ضررا على المدخنين ، كما قد ثبت أن استعمال الشيشة فى المقاهى عامل فعال فى انتقال عدوى الأمراض .

هذه أضرار التدخين ، فلماذا يدخن المدخنون بعدها ؟ وما هى لذة الحياة التى يصاب صاحبها بكل هذه المضار أو ببعض منها ؟

العـــلاج :

يقضى الواجب علينا بأن ننصح المصابين بضعف الإرادة الذين لا يستطيعون الامتناع المطلق عن التدخين بأن نقول لهم إن التبغ الحريف أو كما يقولون — الحامى — يكثر فيه النوكتين فاجتنبوه، وألا يشعلوا ثانية سيجارة منطفئة مهما كان طولها سواء أكانت (سيجارا أو سيجاره)، وليكن التدخين فى الهواء الطلق، ومن الخطر على المدخنين والجالسين معهم أن يكون التدخين فى غرفة هواؤها حبيس؛ أو فى قهوة مغلقة المنافذ فى الشتاء، وجدير بهم أن يكون تدخينهم فى فم طويل و بداخله قطعة من القطن وأن يعنوا بتنظيفه مع مراعاة البعد عن أوساخه وعدم التدخين إذا كان فى الفم بثور .

وهناك وسائل قد يستطاع بها الامتناع عن التدخن تدريجيا أو التقليل منه :

(١) وضع سيجارة غير مشعلة فى الفم ونزعها منه ثم وضعها وهكذا تشاغلا عن التدخين.

(٢) الاستلقاء بعد الغذاء — على قدر ما يسمح الوقت — فأنه يريح المعدة والدورة الدموية.

(٣) عدم ملء البطن فى أشهر الصيف لأن امتلاءه يدعو إلى التدخين .

(٤) عدم شرب سوائل على الأكل .

(٥) يعود المدخن نفسه على أن يتشاغل بحركة يدوية كالسبحة وحمل العصا وغيرهما.

(٦) غسل اللسان وتنظيفه بالفرشاة جيدا .

(٧) يستطيع من يدخن دائة سيجارة — مثلا — أن يدخن يوميا ١٢ فقط باتباعه هذه الطريقة : وهى أن يكتفى بتدخين نصف السيجارة و باقيها فيكون كأنه قد دخن ٥٠ سيجارة فقط فى اليوم، وهذا النصف يتعمد السهو عنه فى يده وهو مشعل فلا يجتذب الأنفاس منه إلا مرة أو اثنتين فيكون قد دخن فى اليوم ربع هذا العدد، ولقد أثبتت التجربة نجاح هذه الوسيلة .

(٨) ولتخفيف ضرر الدخان يوضع قطنة مبلولة بكربونات الصودا فى فم السيجارة فهذا يمتص النيكوتين .

(٩) ولكى لا يتذوق الإنسان الدخان و يكرهه يعمل مضمضة بنترات الفضة $\frac{1}{10000}$ بضعة مرات يوميا .

وهناك نظرية حديثة يوصى بها من أصابهم تصلب الشرايين بسبب التدخين وتسمى تمرينات الأورطى (شريان كبير بأعلى القلب) وذلك بأن يتنفس المريض تنفسا عميقا ببطنه وليس بصدره ثلاثين مرة كل صباح أمام نافذة مفتوحة .

و إتماما لهذا البحث نذكر أن التدخين ليس له إلا فائدة واحدة لا يعرفها إلا الأطباء دون سواهم ، فهم يشيرون بتدخين بعض عجائز على المصابين بمرض .

وها قد أدينا واجبا علينا نحو المدخنين لعلهم يمتنعون عن أداء (الضريبة الاختيارية) من الصحة والمال .

دكتور عمر شوقى

استعمال الألفاظ فى غير مواضعها

ومضاره الاجتماعية

لفضيلة الأستاذ الشيخ محمد الخضر حسين عضو مجمع فؤاد الأول للغة العربية

وضعت الألفاظ ليعبر بها عما يجول فى الضمائر من المعانى التى يراد نقلها إلى أذهان أناس آخرين ، وقد تقصت المعاجم الألفاظ المفردة وعينت لكل لفظ معناه اللائق به ، ووضع النحاة وعلماء البيان قوانين يعرف بها كيف تؤلف هذه الألفاظ المفردة حتى تصير جملا تؤدى صور المعانى القائمة فى النفوس كما هى .

فمن استعمل مفردا فى غير معناه المعروف فى معاجم اللغة أو مقاييسها فقد ارتكب خطأ ، وقد يبنى على هذا الخطأ خلل فى تصوير المعنى الذى صيغ الكلام من أجله ، وربما كان لهذا الخطأ ضرر على الأخلاق ونظام الاجتماع ، ونضرب لهذا أمثلة تدلك على شئ من المضار الناشئة من استعمال الألفاظ فى غير مواضعها .

يجرى فى المديح لفظ العزة والتواضع وفى الذم لفظ الكبر والذلة . والعزة : صون النفس عن مواضع الأهانة ، والذلة : الانحطاط إلى هذه المواضع القذرة ، والكبر : التعاظم فى مقام يقتضى حسن اللقاء وخفض الجناح ، والتواضع : طهارة النفس من ذلك التعاظم الممقوت

ولا تتشابه معانى هذه الألفاظ فى نظر من يميز المعانى بحدودها ، ويضع كل لفظ فى موضعه اللائق به ، ولكنك تجد فى الناس من يتعاظم ويسمى تعاظمه عزة ، أو يهوى إلى الأقدام ذلة ويسمى تذلله تواضعا ، أو يرى فى غيره عزة فيسميها كبرا ، أو يرى فيه تواضعا فيسميه ذلة ، وإلى هؤلاء يشير الشاعر بقوله .

وفى الناس من عد التواضع ذلة ... وعد اعتزاز النفس من جهله كبرا

وقد اشتكى بعض العقلاء من أناس سموا اعتزازه انقباضا ، ونبههم لخطئهم فى استعمال كلمة الانقباض فقال :

يقولون لى — فيك انقباض وإنما ... رأوا رجلا عن موقف الذل أحجما

ويقال فى المديح فلان سليم القلب ، أى إن نفسه لا تنطوى على سوء ، ولا تنزع إلى شر . ويقال فى الذم : فلان خب ، والخب : الخداع الذى يسعى بين الناس بالفساد ، وقد جرى فى أوهام بعض الناس أن سلامة القلب تقترن بالغباوة وعدم التنبه للوجوه التى يأتى منها الشر ، وأن الخب يقارنه الذكاء والنباهة ، وجرهم هذا الوهم الى ان يطلقوا على الشخص كلمة "طيب" أو "مبارك" بل معنى أنه يخدع ويقع فى الشر من حيث لا يشعر ، وأراد احد الحكماء الأذكياء ان يدفع هذا الخطأ فقال . " لست بخب ، والخب لا يخدعنى " . ومن الظاهر ان ذلك الوهم قد نشأ من الذهول عن أن العلم بوجوه الشر يقع الأهمية ، وكثيرا ما يجمع الرجل بين الأهمية وسلامة القلب ، قال عمر بن الخطاب " من لا يعرف الشر يوشك أن يقع فيه " .

ويجرى فى صفات المديح لفظ المداراة ، وفى صفات الذم لفظ المداهنة . والمداراة أن تلقى من تخشى شره بتبسم أو تخصه بإكرام ، أو تترك محاورته فى أمر يبطش بمن يحاوره فيه ، أو تذكر ما عرفته من محاسنه وتسكت عن مساويه ، أما المداهنة : فهى أن تصفه بالعلم وهو جاهل ، أو بالشجاعة وهو جبان ، أو بالعدل وهو ظالم ، أو يبدى رأيا خطأ فتقول له : أصبت الحق ، وقد يخطئ بعض الناس فيحسب البشاشة فى وجه المطبوع على الإساءة اتقاءاً لإساءته مداهنة ، ويحسب آخرون أن التبسط فى إطراء من يتقى شره مداراة ، فى حين أن علم الأخلاق يسمى الذى يجرى على لسانه مديح الأشرار منافقا ومداهنا . ويسمى أناس الإحجام حيث يجب الإقدام حزما ، وإلى هؤلاء يشير المتنبى بقوله :

يرى الجبناء أن الجبن حزم وتلك خديعة الطبع اللئيم

ويسمى أناس بسط اليد بالمال فى وجوه البر إسرافا ، وقال بعض هؤلاء لمن أنفقوا فى سبيل الخير مالا كثيرا " لا خير فى الإسراف " فقال . " لا سرف فى الخير " ويسمى أناس الأناة إبطاء ، والأناة مقام غير مقام الإبطاء ، قال شاعر الحماسة :

منا الأناة وبعض القوم يحسبنا أنا بطاء وفى إبطائنا سرع[1]

ويسمى أناس إطلاق اللسان أو القلم بهجاء الأشخاص ، أو بالنقد الخشن بالسباب ، حرية ، وإنما الحرية فى إبداء الآراء أو نقدها بأسلوب تأذن به الفضيلة ولا تنكره آداب البحث .

وقد يطلق الناس اسم المباح على المحظور ليتناولوه أو ليدعوا اليه فى غير تحرج ، وإلى هذا يشير النبى الأكرم صلوات الله عليه بقوله . " يشرب الخمر ناس من أمتى يسمونها بغير اسمها "[2] .

وقد تنبه لخطر تحريف الألفاظ عن مواضعها " كونفشيوس " زعيم المذهب الذائع فى الصين " الكونفشيوسية " وجعل من أسس مذهبه فى الإصلاح الرجوع بالألفاظ إلى موضوعاتها الصحيحة وقال . " إذا لم تكن الأسماء صحيحة لم يطابق الكلام حقائق الأشياء وإذا لم يكن مطابقا للحقائق وقع الخلط فى اللغة واضطربت الأفكار ، ولم تقع العقوبات على من يستحقها فتتعطل الأعمال المدنية " .

وليس من شك فى أن استعمال الألفاظ فى غير مواضعها وسيلة من وسائل اختلال الشؤون الاجتماعية ، وأنه من واجب المصلحين تنبيه الناس لهذه الناحية من الفساد ، وأن يتداركوا إصلاحها بعناية وحكمة .

---

(١) السرع : السرعة .

(٢) رواه الإمام النسائى فى سننه .

الرأى العام وعوامل تكوينه

للأستاذ عبد الرحمن العيسوى

مظهر الوجود الصحيح للأمم هو ما أصطلح على تسميته بالرأى العام ، واذا كان الرأى ، أعنى مجرد الرأى . معناه الفكرة الناضجة والخبرة الصادقة والحس والذوق السليم ، فالرأى العام إذن ، معناه : الفكر الناضجة والأذواق السليمة فى الحكم على الأمور العامة ، سياسيا واجتماعيا .

وأمتنا المصرية تحس الحاجة وهى فى الطور الأخير من أطوار انتقالها — كما نأمل — الى رأى عام بالمعنى الذى وصفناه ، لذلك نشير الى عوامل تكوين الرأى العام فى هذه المقالة القصيرة لتكون مثار دراسة الكتاب وابحاث المفكرين وتذكرة المسئولين ، ونقرر أن الاتجاه فى تكوين الرأى العام يتعذر ويطول به الزمان اذا عالجناه فى القوالب الفردية ، فالقرآن الكريم وهو جماع المبادىء الفلسفية والاجتماعية وضع له قواعد ليست من الفردية فى شىء بقوله :

"يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم ، لا يضركم من ضل إذا اهتديتم" والآية بصدد التوجيه الاعتقادى الذى هو عامل أول من عوامل تكوين الرأى العام ، فلم يخاطب الفرد ولكن خاطب الجماعة ، ووضع وسيلة وأسلوبا جمعيا لا فرديا ، فعلينا إذن حين نحاول تكوين الرأى العام أن نتجه الى تكوين رأى الجماعات الصغيرة مسايرة للقاعدة واختصارا للزمن .

فهذه مجموعات التلاميذ فى المدارس ، والطلاب فى الجامعات والمعاهد ، ومجموعات الموظفين فى الدواوين والفلاحين فى القرى ، والعمال فى المصانع ، والعمال فى النقابات ، وأيضا مجموعات المذنبين فى السجون ، ومجموعات الجماهير فى الشارع ، يمكن أن يوضع لكل مجموعة منها ، توجيه مناسب لها ، يقارب اتجاهاتها ، ويشاكل بين نزعاتها ، فيتألف لدينا رأى عام متوافق المشارب ، والتوافق هو العنصر الأول من عناصر تكوين الرأى العام ، وصور التوافق متعددة ، وعوامله كثيرة ، فمن صوره التوافق الحسى فى الأزياء والتوافق المزاجى بعامل تماثل البيئة ، والبيئة هى كل ما نسمع وما نقرأ وما نبصر وما نحس ، وهى المؤثر الأول فى التكوين من حيث قوة التأثير واستمراره وملازمته للفرد منذ ولادته ، والتوافق الاعتقادى ، صورة أخرى ، ونحن مع الأسف فى هذه الناحية متنافرون ، فالمذاهب الدينية المستحدثة لا توجد توافقا بل تنافرا ، فالسنى والسبكى والسلفى والصوفى ... الخ تلك التعابير ومدلولاتها ، كل منهم على غير رأى الآخر ، بينما توفق بينهم العقيدة الأساسية فى الدين ، تباعد بينهم هذه الابتداعات .

ومن عوامل التوافق ، توحيد الثقافة الشعبية ، بعد العمل على ايجادها ، وتوحيد أساليب التربية ومناهج الدراسة ، فهذه الطرائق الخمسة من طرائق التعليم والمناهج ممثلة فى المدارس الازامية والمدارس الأميرية والمعاهد الأزهرية والمعاهد الأجنبية بفروعها ، الدينى منها

والعلمانى ، لا تحقق توافقا ذهنيا بين خريجيها ، فطالب الجامعة المصرية على نسق وغرار فى تفكيره ورايه مخالف كلية لنسق وغرار طالب الجامعة الأزهرية ، وكلاهما على غير صورة خريجى مدرسة الجزويت أو كلية فكتوريا ، أقصد المخالفة فى النظر الى المسائل العامة وفى الحكم عليها ، وهم جميعا مختلفون مع غيرهم جميعا .

فتوحيد برامج التعليم وأساليب التربية فى المراحل الابتدائية على الأقل ، وفرضها لزاما على معاهد العلم المختلفة ، عامل أساسى فى ايجاد التقارب الذهنى بين طبقات الشعب ؛ فاذا كانت هذه المناهج معنية عناية صحيحة ، الى جانب ما تحققه وحدتها من انسجام ، يخلق الكرامة الشخصية والكرامة الاجتماعية والكرامة الوطنية ، تحقق من عناصر الرأى ، الاصابة والقوة والطموح ، وهو العنصر الثانى ، وليس مما يخلق الكرامة الاجتماعية والوطنية ، أو يساعد عليها ، أن تهمل اللغة القومية فى بعض فروع الدراسة الجامعية لأى سبب واه أو حجة عليلة ، ومجموعات الموظفين فى الدواوين ولهم أثرهم فى الحياة الاجتماعية والسياسية ، أحوج الى الانسجام والطموح وتوفر الكرامة الشخصية والاجتماعية والوطنية ، ولا تتوفر الأولى إلا اذا تركت للموظف فرصة التمرس بالاضطلاع بالمسئولية وعومل من وؤسائه على أنه مادة حية لها تصرف ذاتى ، لا آلة كاتبة تقدم الأوراق ولا تعرضها ، وتسجل التأشيرات ولا تناقشها ، وتأخذ التوجيه دون أن تفهمه ، ولا تتوفر الثانية أى الكرامة الاجتماعية إلا اذا انتظمتهم ثقافة اجتماعية متماثلة وأعطيت لهم الفرص للتزود من المعرفة بتعميم الأندية الخاصة بهم ، وتعميم الجماعات الفنية والأدبية بينهم وتحريضهم على الاضطلاع بكل أساليب التحريض ، والكرامة الوطنية فى صفوفهم تكون بكفالة استقرار حالهم والتنائى بهم عن أن يكونوا فى مهاب الأهواء التى تمحق استقلال آرائهم وتلاشى ذاتيتهم فى غيرهم .

والفلاحون فى القرى تتكون ملكاتهم فى الشئون العامة إذا يسرنا لهم مشاركتنا فى تلك الشؤون وأثرنا أذهانهم بأساليبنا فى فهم الحياة الاجتماعية ، وعرضنا لهم صورها الذهنية على تنوعها ، بتعميم أجهزة الاذاعة اللاسلكية فى الساحات الشعبية فى قراهم ، مع تخصيص برنامج خاص بتلك البيئة ، مرات كل أسبوع ، للتثقيف والترفيه ، ولا بد لنخلق رأيا عاما ، رأيا عاما كالذى وصفناه ، فى جماهير الفلاحين ، لا بد أن ننهض بمستواهم الاقتصادى نهضة ترقى بمشاعرهم وتكرم أنفسهم على أنفسهم ، فالارتقاء الاقتصادى ورفع مستوى المعيشة عامل عظيم القيمة فى صون الكرامة الشخصية والاجتماعية بل وفى خلقها ، وهو ضرورى التوفير لكل الجماعات ، ولكنه لجماهير الفلاحين اوجب وألزم ، وقد درس الخبيرون دواسات مستفيضة وعملية ، أمر توفيرالرخاء لتلك الطبقات ولم يبق إلا أن توجد الجرأة الوزارية للتنفيذ ، ويقينى أن معالى وزير الشؤون الاجتماعية الحالى — وهو من أعرف نزعاته الوطنية الصادقة وروحه المتوقدة غيرة على العمل الوطنى لأعلى الكلام فى الوطنية — هو الرجل الذى طال بالشباب المصلحين انتظاره ، ليقود جهودهم وينظم صفوفهم .

والعمال فى مصانعهم ، يصدق عليهم هذا على صورة تختلف قليلا ، ويجب لهم فوق ذلك فراغ . . ثم إشراف على تنظيم ذلك الفراغ ، لاستغلاله فى الاستزاده من الثقافات المهنية والاجتماعية التى يجب على النقابات أن تعرضها عليهم وتيسر تحصيلها لهم ، مما لابد لعامل العصر الحديث أن يعرفه ، ليؤهله إلى ما يطمح إليه من آمال سياسية وقيمة اجتماعية . وهؤلاء العمال فى نقاباتهم ، لديهم الفرصة لتمحى الفوارق الذهنية والاجتماعية التى تباعد كثيرا بينهم وبين الطبقة التى تعلوهم ، لو أشرفت هيئة من الإخصائيين يختارها وزير الشؤون الاجتماعية لتضع برامج ثقافة مهنية واجتماعية لنقابات العمل وتنظم إنجازها فى دور تلك النقابات جميعا ، بذلك نضمن تقارب منازع الرأى العام فى جماهير لها مشاركة فعلية فى إبداء الرأى ، وهى مشاركة خطرة ماقامت على معلومات خاطئة وثقافة ناقصة واستنباطات ساذجة ، فلنعالج الرأى العام العمالى فى سرعة وحزم وإخلاص ، وإن نقابات العمال تستطيع أن تصوغ أفرادها صياغة الجواهرى لقطع الحلى بأنظمتها التعاونية ووحدة الفكرة فيها ووحدة الغرض وسموه ، وتستطيع أن تقيم بهم التوازن فى المجتمع ، بما تخلق فيهم من ملكات الكرامة الشخصية والاجتماعية والوطنية .

والمذنبون فى السجون الذين يعيشون فى ظل نظام لايساعد على شعورهم بكراماتهم ، وبينما الدنيا تتطور وعلم النفس يتسيطر وروح المجتمع تتغير ، فان قوانين السجون فى مصر لاتتبدل ولا تتحور ، وقد آن لمجتمعنا أن يقول للفيلسوف وأستاذ علم النفس كونا أنتما السجانين فانا نريد السجان مهذبا ومعالجا ، لاعسافا وزاجرا ، موجها ومرشدا ، لاحاسبا معاقبا ، آن للمجتمع أن يقول للعالم والفيلسوف ، أحرجا لنا من هذه النقابات الآدمية ، خيرمافيها ، صحصحا لنا المصاب المريض بالجريمة ، وصوغا من جديد نفسية الضحية لظروف لم يخلقوها ، ثم أعيدوا لنا هذه العشرات من الآلاف أو أكثرها على الأقل ، أعيدوها أجزاء كريمة فى كيان الرأى العام وأعضاء سليمة فى المجتمع العام . . وذلك على الفيلسوف والعالم جد يسير .

وجماهير الشارع الذين لايجدون بيئة تربى الذوق أو تسمو بالحس الشخصى والوطنى ، فلا تماثيل للعظماء الراحلين — على أسوار الحدائق مثلا ، وفى الشوارع والميادين ، ولا هندسة تنظيم ، ولاساحات ملاعب رياضية ، ولا نواد شعبية ، إلى آخر صور البيئة الجميلة الفاضلة ، ولاتقع أعينهم إلا على أفرادهم ، فى أزياء كرنفالية متنافرة ، لاتوجد الأذواق ولاتؤلف الأحاسيس ، ولاتسمع آذانهم إلا ألفاظا نابية غير مهذبة ، ولاتشغلهم إلا النسكع على الطوارات والمقاهى ، تدمر وقتهم وأعصابهم وأموالهم واخلاقهم .

هؤلاء ، وهم جزء هام فى الرأى العام ، يسمى باسمه الكل ، فتقول هذا رأى رجل الشارع تعنى غالبية الرأى العام ، يلزمنا حيالهم ، لتتوفر لهم صفة الرأى العام الذى عرفناه ، أن نتلافى كل ما ذكرته من نقائص ونحل محلها أضدادها من المحاسن .

ولا أغفل أن من العوامل الأساسية فى صوغ الرأى العام وطبعه بطابع معين ، الصحافة ولكنها مع الأسف عاجزة فى الأحوال الحاضرة عن أداء مهمتها على الوجه الأكمل ، فرأينا العام بعيوبه هذه ، يتنازع اجتذابها اليه فيكاد يسيرها بدل أن تسيره ، ويتزل بها بدل أن تعلو هى به ، والوسيلة الصحيحة لاستخدام الصحافة فى تكوين الرأى العام ، التكوين الذى نطلبه (فى شعب كشعبنا وظرف كظروفنا) ، هى أن توضع للصحافة والصحافيين قواعد وأهداف ومناهج وأساليب توحدها نقابة الصحفيين ، حتى لا يكون هناك مجال لتنافس الصحف فى اجتذاب الجماهير باسترضائها ومسايرة رغباتها ، فتقرأ الجماهير كلها ، الصحف المنشورة ، دون تفضيل ، وتتأثر طوعا أو كرها بارشادها .

أن القوانين أيضا مؤثرة فى الأخلاق ، والأصل فيها أن تكون متفاعلة مع أخلاق الشعب ، ولكن حالتنا الخاصة تستدعى أن يحرص زعماؤنا وحكامنا على أن تصوغنا قوانيننا ، لا أن نصوغها نحن مع قلة نضجنا ، وأنى لموقن أن العامل الأول فى توجيه رأينا العام ، يجب أن يكون الساسة والزعماء ، فهم المرشد الذى نحتاجه ولا يجوز لنا فى دور التكوين والطفولة الاجتماعية ، أن نصنع الزعماء والقادة ونجتذب العقول الكبيرة الى مستوى عقولنا الناشئة .

عبد الرحمن العيسوى

الغبى يصدق كل كلمة والذكى يتنبه الى خطواته .

(سليمان الحكيم)

أنا الغنى وأموالى المواعيد .

(المتنبى)

الصبقرية فى قيادة المجتمع

"رومان رولان"

كل شئ زائل إلا الحقيقة ، ولن تموت الإنسانية الخالدة أبدا ، وسيظل الحق عزيزا بنفسه ، يرتفع فوق كل قوة ويعلو على كل كبرياء ، هكذا كان إيمان "رومان رولان" وهكذا كانت عقيدته ، ولقد وقف ذلك المفكر الإنسانى العظيم فى مهب العواصف طول حياته يجاهد لدعم هذه الحقيقة ، ويدعو فى إخلاص وحرارة إلى تعميم الإيمان بها بين الأمم والشعوب ، والأفراد والجماعات ، فما عرف أحد عنه النفاق فى رأيه ، أو الرياء فى دعوته ، ولا أمسك عليه الناس فى يوم ما بخوة بين لسانه وجنانه ، بل ظل دائما على الإباء والوفاء ، والصدق والإخلاص ، يغمر الجميع بعطفه وحنانه ، ويشمل الضعفاء بحبه وإنسانيته ، ويغنى فى كل ما يقول وما يكتب بالنغم الإنسانى النبيل .

وليس من قصدى فى هذا الحديث أن أؤرخ حياة رومان رولان ، فقد يكون أحق بهذا أبناء جلدته ، ومن هم ألصق به فى المنشأ والمنبت ، والذين يحفلون بتعداد الأيام والأعوام وسرد الوقائع والحوادث ، وإنما القصد الذى أرجو أن أوفق فيه ، هو أن أصور لك تلك العبقرية المثالية التى تتجلى فى شخصية رومان رولان ، والتى رفع لواءها ذلك المفكر الإنسانى الحر فى عصر هو الجحيم الذى لا يطاق ، والأتون المتأجج بالمطامع الخبيثة والأنانيـــة المجرمة والأحقاد الدفينة ، فاستطاع بهذا الصنيع الكريم أن يخلد خلود الإنسانية ، وأن يسمو سمو العبقرية .

لقد كان رولان ، كاتبا ، أديبا ، فنانا ، مفكرا ، عالمـا ، واسع الدراية بفنون العصر ومعارفه ، يمتاز بمواهب خارقة ، وألمعية صادقة ، ولكنه كان قبل هذا كله ، وبعد هذا كله ، قديسا فى معبد الإنسانية ، يجمع كل ما يملك من المواهب والصفات ، وقدمه قربانا فى ذلك المعبد ، وزلفى لذلك الدين ، ولقد كان "رولان" يجرى فى ذلك على طبيعة موروثة ، ويستجيب لنزعة خير انحدرت إليه من والديه ، ولقد ظهرت هذه النزعة فى نفسه قوية جارفة وهو لمـا يزل طالبا فى معاهد العلم ، إذ كان فى ذلك العهد يتصوف تصوفا فكريا ، ويقبل على دراسة الأدب والفن فى شغف وابتهال ، ولكنه لم يرد أن يجعل نفسه كتابا من الكتب لكثرة إقباله على القراءة كما يقول "جوتيه" ، ولم يرد أن يسلم نفسه إلى ذلك الأدب العبوس والفن المقطع الأوصال كما يقول هو ، بل كان يعد نفسه لتبليغ رسالة ، ويجاهد فى التمـاس طريق للهداية ، فكان يسأل نفسه ماذا يصنع ! ... أجل ماذا يصنع ؟ ! وهو يرى النفوس قد نغلت ، والقلوب قد فسدت ، ومذاهب الفكر قد تلوثت ، وأوربا التى تأخذ بزمام العالم ، تسيرها المطامع والأغراض ، وتتسلط عليها روح جنونية ظمأى إلى الدماء ، وتجار السياسة

يتنافسون على صفحات التاريخ الكاذب ، فكل منهم يريد أن يكون له فيه أفسح مكان ، وسماسرة الأدب والفكر يضعون أنفسهم رهن إشارتهم ، ويتطوعون للسير فى ركاب الشر وموكب الظلم والاستعباد ، ومعالم الحضارة تنهار تحت هذه الأعباء الثقيلة البغيضة ، وقيم الفكر والأخلاق تذهب مذهب الباطل ويطويها الإهمال والنسيان ، كأنها قبور الموتى . .

كان "رولان" يرى كل هذا تحت عينيه ، فتتملكه الحيرة ويستولى عليه القلق ، فيسأل نفسه وهو على باب الطريق ماذا يصنع ، ويلح على نفسه كثيرا فى السؤال ، وإنه ليصف هذه الفترة من حياته بقلمه فيقول : " لا أنكر أننى كنت خلال سنوات مضت (١٨٨٥ — ٨٧) مضت فى اضطراب فكرى وفوضى عقلية ، وقد اضطرنى ذلك الى البحث عن طريق الخلاص فى حرارة وإخلاص وألم وتضرع ، وكنت أعيش فى باريس ، ولكنى كنت أعيش فى عزلة منقطعة ، تتملكنى روح ثائرة تنتشى بالفن والموسيقى ، تجهل الحقيقة ولكنها تهتدى إليها رويدا رويدا وكنت أتطلع عن يمينى وعن يسارى لعلنى أجد من يأخذ بيدى ، فأخذت جملة من نصائح " رينان " فى فرنسا ، واستنجدت " بتولستوى " " وابسن " فى الخارج ، وكلا الاثنين أجابنى . . . "

"ولقد أحببت "تولستوى" وامتلأت نفسى بحبه فى كل لحظة ، وكنت محاط فى حياتى الأولى بجوه الفكرى ، حتى كنت أجد نفسى فى شخوص رواياته ، وأعترف اعترافا صادقا للقارىء أن ذلك الرجل الكبير كان رائدى فى الحياة وعونى على فوضى العصر الأدبية والفكرية بذكائه النافذ وعواطفه السامية ودعوته الى الحقيقة المطلقة والى الخير العام دعوة صادقة . . على أنى فى الجهة الثانية كنت أجد نفسى فى الفن منذ الحداثة ، كنت مشغوفا به وبخاصة بالموسيقى التى كانت غذائى ونشوة أحلامى ، وكنت لا أجد شيئا يؤثر فى نفسى مثل النظر فى تحفة فنية صاغها فنان موهوب حاذق ، أو سماع لحن من إيقاع "بتهوفن" العبقرى ، أو تأمل فى لوحة من لوحات " رامبرانت " العظيم ، هنا كنت انسى ذاتى ، وتذوب أنانيتى ، اذ أشاهد الطيبة تتدفق من تلك القلوب الكبيرة ، وأحس باشعاع ذكائهم يلمع فى ناظرى ، ومن هنا اكتسبت عاطفتى الأخوية نحو الناس ، اكتسبتها من التعاطف المشترك ، وبعد مشاهدتى تمثيل رواية " اوديب الملك " وسماع الايقاع الموسيقى برفقة جوقة من المغنين . .

هذا هو الغذاء الذى تشبعت به شخصية رولان ، وبه نضجت واستوت ، غذاء الفن الصادق ، والحقيقة الانسانية المطلقة ، وما كان فناؤه فى الفن الا فناء فى تلك الحقيقة ، وما كان حبه لتولستوى إلا حبا للانسانية ، فهل استطاع "رولان" أن يجد فى هذا خلاصا من قلقه ويأسه ، وأن يتلمس طريق الحق الذى كان ينشده فى رسالة الأدب والفن وميمة الفكر فى الحياة ؟ !

لقد وجد الطريق التي توائم طبيعته ، وتلائم فطرته ، واهتدى الى ما يجب أن تحمله وتحمله العبقرية الفنية فى تبليغ رسالتها الى الناس ، وقد شرح ذلك فى مؤلفاته وروايات وفصوله التى أذاعها فى الصحف ، ولقد أجمل ذلك الشرح الطويل إجمالا وافيا فى إحدى رسائله إذ يقول : "إن نتاج العلم الصحيح والفن الصادق هو التضحية . . وأنا أول من يدعو الى إدخال الفن فى البيئة الشعبية وتجريده من كل تلك الامتيازات والاعتبارات الرسمية ، يجب أن لا يكون الفن مهنة بل الهاما ، لأن الالهام يحمل دائما على التضحية . . وليس العالم اليوم بمفتقر الى ألوف التحف الفنية التى يعرضها أصحابها فى معرض باريس من سنة الى الى أخرى ، وليست له حاجة بتلك القطع التمثيلية والروايات التى يمطره بها كل يوم أولئك الكاتبون ، يكفى أن يكون فى كل جيل من الناس ثلاثة أو أربعة من العباقرة يسودهم عقل راجح وطيبة متناهية ، و يقودهم شعور حى بجمال الأشياء ، فبذلك يخلقون شعبا يحسن التطلع والاحساس والفهم ، ويدرك ما هو جميل وطيب فى هذا العالم ، ويهذب ما يحيط به من حوائج الحياة " .

" وأنا لا أستاء ولا أغضب أبدا إذا ما ألزم الفنانون بحمل نصيبهم من العمل اليدوى الضرورى لخدمة المجتمع ودعم الكيان الاجتماعى ، ولكن بشرط أن يوزع ذلك توزيعا عادلا بين المجتمع ، وحينذاك تصبح الأعمال خفيفة العبء ، فلا ينوء بثقلها نوابغ الفنانين ، ويجدون عندهم القدرة والوقت لإنجاز آثارهم وتحفهم الفنية " .

" إن الصفات العابسة المصطنعة والإحساسات المقطعة الأوصال التى يصطبغ بها الفن فى هذه الأيام ، ترجع الى أن أصول ذلك الفن غير عريقة فى حياة الأرض ، ولأنه نتاج لأشباح رجال ، و إفراز ديدان كل قدرتها أنها استطاعت امتصاص كلمات وأنغام وألوان ، وعلى أى حال ، فان جمال الأثر الفنى لا يضيع ولا يموت . . وهنا لا يسعنى إلا أن أسأل كل فنان مؤمن بالفن ، هل يكثر إنتاجنا اذا كنا نعزل عن العمل طول النهار ، أم اذا كنا أحرارا ساعتين فقط من ساعات اليوم ، أما رأيى أنا فهو أن الانهماك فى العمل الى حد المضايقة لا يضر الفكر ، وأن الحرية الزائدة تضعف الالهام ، وأن الانسان فى حاجة دائمة الى استحثاث ، ولو لم تكن حياته قصيرة لما رأيناه يسرع فى طلبها والتلهف عليها " .

" إن النبوغ يرحب بالعوائق ، بل إن العوائق هى التى تخلق النبوغ ، أما المواهب فانها تملأ العالم ، والموهوبون كثيرون تعج بهم مدنيتنا الحاضرة ، ولكن ضررهم أكبر من نفعهم ، ولن يخسر العالم أو يصيبه ضرر كبير إذا ما فقد أكثر الرسامين والموسيقيين والكتاب والنقاد والصحفيين ، وربما كان ذهابهم سعادة للعالم ! وكثيرا ما أفكر فى حريق مكتبة الاسكندرية فأقول لنفسى : ما نفع ذلك الماضى الميت ، ولو أننا ورثناه لتراكم فى طريق حياتنا ، وصعب علينا إزالته " .

هذا هو مجمل الرأى عند رومان رولان فى مسألة الفن وصلته بالحياة وبالمجتمع ، وفيما يجب أن يضطلع به الفنانون من الواجب نحو الإنسانية ، وهو رأى أوضحه فى إحدى رسائله التى كتبها فى شيخوخته ، أى بعد أن محص الحقائق ، وتمت له التجربة ، وشمع من النظر فى تقلبات الحياة ، وإنك لتلمح فى هذه السطور صورة صادقة لشخصية ذلك المفكر الكبير ، فليس ثمة ما يفصل بين رأيه وشخصيته ، لأنه اعتاد أن يتكلم من أعماق ضميره ، يرسل فكرته فى غير خوف ولا ملق ولا رياء ، ويعلن عن عقيدته ولا يعنيه ما يقول الناس ، فحسبه أنه يجد الحق ويحبذ الانصاف .

وهكذا عاش رولان يجد العمل لأنه القوة التى ترفع من شرف الانسان وتكون شخصيته ، ويدعو رجال الفن الى التضحية من أجل الغير لأنها ضريبة الانسانية التى تفيض بها قلوبهم والتى يجب أن تكون مصدر ما يبتكرون من الأضواء على المجتمع وما ينتجون من الآثار للناس ، ثم هو يجعل الأساس لهذا كله الحقيقة ، يعنى الحقيقة العامة الخالدة ، التى يفرضها العدل الإنسانى فى الأرض ويقضى بها للجميع ، وهنا مناط الرجاء بالفن ، ومجال الإنتاج للموهوبين ، فيجب أن نغذى فى نفوس الناس حب الحقيقة ، وأن نشعرها الحاجة إلى الحقيقة ، وأن نعودها البحث عن الحقيقة ...

ولكن ما كنه هذه الحقيقة التى ينشدها ويدعو إليها رولان؟ ما مصدرها وما حدودها؟ هى العدل الذى يقضى بالحق بين الجميع ، ويرفع لواء الأخوة بين سائر الناس فى الأرض ، فلا يرتفع فرد على حساب غيره ، ولا تعلو أمة على أشلاء أخرى ، العدل الذى لا يصدر عن قلب تحمله المغالاة على مجاوزة كل حد ، أو عن عاطفة مبهمة تقود الإنسان إلى مالا يدرى وإنما هو العدل الذى يصدر عن العقل الواعى ، والفكر القويم ، والضمير الحر .

فرولان لم يكن ينادى بدعوة شاعرية تتوج بها عاطفته ، ولكنه كان صاحب مذهب فكرى يستمد وجوده من العقل ، وهنا مجال الفرق بينه وبين الفيلسوف الروسى (تولستوى) ووجه الشبه بينه وبين العالم الانجليزى (برتراندرسل) ، وكثيرون من المفكرين لهم عقل رولان وتفكيره ، ولكن عبقرية الرجل كانت تتجلى فى ضميره ، ذلك الضمير الواعى دائما ، الممتد الآفاق دائما ، فما خذل صاحبه فى موقف من المواقف ، ولا تخلف عنه فى موطن من الشدة ، بل ظل يخلق به فى جو الإنسانية الشاملة والأخوة الكاملة واضعا الأعتبارات السياسية والنزعات الجنسية تحت قدميه .

كان عام ١٩١٣ نذير الشر ، وطالع الشؤم ، إذ بدا لدول أوربا المفتونة بقوتها أن ترقص على حافة الهاوية ، وأخذت كل دولة تحشد جميع ما تملك من القوة والعدة استعدادا للمعركة ، فتوجس رولان الشر ، وأدرك أنها نقمة ستأتى على معالم الحضارة من القواعد ، وستزلزل كيان العالم ، وتزيد فى بؤس الناس وشقائهم ، فاهاب بالضمير الإنسانى أن يتيقظ ،

وأرسل الصيحة إثر الصيحة محذرا القوم من سوء المغبة ووخيم العاقبة ، ولكن الجنون كان قد طغى على العقول حتى عقول أهل الفكر ورجال الأدب ، فقد اجتمع عدد كبير من الأدباء والعلماء فى ألمانيا برياسة (جرهارت هاوبتمان) وأذاعوا على الملأ بيانا يمجدون فيه الحرب ، ويفتون بمشروعيتها ، ويجعلون من حق القوى أن يتسلط على الضعيف ، وكان أن نهض فى فرنسا (موريس باريس) يقود جماعة من الأدباء فى دعوة أبناء وطنه إلى مثل هـذا الغرض ، وهكذا أصبح الأدب الذى عهده الناس صوت الإنسانية وهو حرب على الإنسانية ، واشتعلت الحماسة فى النفوس والرءوس حتى صارت جنونا .

ولما نهضت فرنسا للحرب كان قانون التجنيد يقضى على "رومان رولان" بالعمل فى صفوف المحاربين ، وأداء ما كانوا يسمونه بضريبة الوطن ، ولم يكن رولان جبانا ، ولا خائر العزيمة ، ولكنه كان انسانا يرى القتل وسفك الدماء على أى اعتبار جريمة فى شرعة الانسانية ، فأبى أن يحمل السلاح ، وترك وطنه وآثر الاقامة فى سويسرا ، ومن هناك أخذ يحلق فى جو المعركة ، ويفتح العيون على مواقع الشر ، ويندد بالوحشية الانسانية المتجنية ، وقد جمع رولان هذه الصيحات فى كتاب سماه " فى جو المعركة " وبه ذاع صيته فى العالم ، وارتفع صوته فى الآفاق .

وجاءت معركة السلم بعد معركة الحرب ، وأصر الغالبون على أن يكون لهم السلطان المطلق على المغلوبين ، وأصبح الاستعمار فى سياستهم شريعة واجبة فوقف رولان ينافح عن حقوق الانسانية وينادى بانصافها من أنانية الغاصبين ، حارب رولان الطغيان فى كل لون من ألوانه ، وحارب الاستعمار فى أى شكل من أشكاله ، ووقف فى جانب الأمم المهيضة ، والشعوب المهضومة ، والأفكار الحرة التى تنشد العزة والاستقلال ، لم يمل به الهوى نحو شعبه ، ولم يتسلط عليه التعصب لوطنه ، بل كان صوته أجرأ مايكون فى مهاجمة فرنسا والتشنيع على سياستها الاستعمارية وفضح ألاعيب رجال السياسة فيها .

ناصر رولان الأمم المجاهدة لحياة السيادة والاستقلال ، وأرسل شواظ فكره الملتهب على أولئك الذين يدوسون حقوق الانسانية فى استعباد الشعوب ، ونحن أبناء الشرق ، من ادناه الى أقصاه ، نحتفظ له فى ذلك أطيب الذكرى ، ونحمل له فى طوايا نفوسنا ودا بود ، وعطفا بعطف ، دافع عن الهند فى محنتها ، ونافح عن الهند الصينية من أغراض السياسة الفرنسية ووقف فى جانب الصين لما اقتحمت أرضها اليابان ، واستهوته شخصية "غاندى" فكتب عنه كتابا يعتبر من أمتع آثاره ، فلا عجب إن أحبه الشرق وأجله ، وقدر فيه تلك الانسانية الفياضة التى حررت عواطفه من التعصب الممقوت ، وسمت به على الارتطام فى حمأة الأنانية المجرمة ، المغرضة .

فأى رجل كان ذلك المفكر العظيم ؟ إنه إنسان كامل ، إنه صورة صادقة ناطقة للعبقرية المثالية التى تعتز بشخصيتها وبفكرتها ، وتتمتع كرامتها فوق كل شيء .

نال رولان جائزة الأدب الكبرى من الأكاديمية عام ١٩١٣ تقديرا لفنه وأدبه وإكبارا لقوة روحه وعطفه ، فما أبطره هذا ولا أخضع ضميره لرق الرسميات ...

ونال جائزة نوبل للسلام عام ١٩١٦ اعترافا بصدق يقينه وسمو عاطفته وبالغ إنسانيته فما عناه هذا بشيء ، بل أرسل إلى ناشر كتبه يخبره بالتنازل عن هذه الجائزة لأعمال الخير ، وحسبه أن يفكر تفكيرا حرا .

واحتفل العالم ببلوغه الستين من عمره عام ١٩٢٦ ، وانطلقت ألسن الخطباء وأقلام الأدباء تمجد أدبه وشخصه ، فما سره من هذا إلا أن يرى النصر للفكرة التى يمثلها ، والتى يرجو أن تكون مبدأ العالم أجمع ، ورسالة الأدب والفن .

وها هو ذا قد أغمض عينيه إغماضة الأبد .

أغمض عينيه على أتون المعركة المستعر ، وعلى السياسة المجنونة بشريعة النار والدمار ، فماذا كان يحس إزاء هذا وهو يرسل آخر نفس بين جوانحه ؟ ! يقينا أن إيمانه لم يفارقه ، وأن أنفاسه الأخيرة كانت تتردد بعقيدته الأبدية ؟ : كل شيء زائل الا الحقيقة ؛ وكل مذهب باطل إلا مذهب الانسانية . . .

محمد فهمى عبد اللطيف

كل طريق له نهاية ؛ فتمسك بالصبر ولا تحزن
أن الدينار يقتل نعوسا ؛ أكثر مما يقتل السيف أجسادا
(ولترسكوت)

في ميدان النشاط الاجتماعي :

التعاون الدولي

لدعم الحياة الاقتصادية والاجتماعية

كان قادة الأمم فيما سبق يحصرون تفكيرهم في دائرة محدودة هي دائرة التدبير السياسي مجردا عن أي اعتبار آخر، ولكنهم في هذا العصر أخذوا يوسعون من دائرة تفكيرهم وتدبيرهم ، إذ ظهر لهم أن التطور السياسي لا يمكن أن يؤتي ثمره ولا أن يؤدي الى النهوض بحياة الأمم إلا إذا كان مقرونا بالتطور الاقتصادي والاجتماعي حتى تكون الامة في نهوضها وفي تطورها وحدة متماسكة لا يخذلها الضعف في أي ناحية من نواحيها .

لهذا يهتم رجال السياسة ومن بأيديهم مقاليد الأمور في الأمم بوضع المسائل الاجتماعية والاقتصادية نصب أعينهم فيما يرمون من إصلاح ويتصدون من قيام التعاون الدولي بين الأمم لتحقيق حياة السعادة والرفاهية للانسانية عامة ، وقد بدا هذا الاهتمام واضحا في الوثائق التي إذيعت عن أعمال مؤتمر "دمبارتن أوكس" الخاصة بانشاء هيئة دولية لتوطيد السلم والأمن ، إذ تضمن الفصل التاسع من المقترحات التي وضعتها الحكومات المشتركة في المباحثات ما يجب من التدابير للتعاون الدولي الاقتصادي والاجتماعي فأناط بالهيئة الدولية " أن تيسر الحلول للمسائل الاقتصادية والاجتماعية الدولية وسواها من المشاكل الانسانية ، وأن تعمل على احترام الحقوق الانسانية والحريات الأساسية " على أن تكون مسئولية الاضطلاع بهذا العمل من حق المجلس العام ، ومجلس اقتصادي اجتماعي يعمل باشراف المجلس العام أيضا .

وقد نصت المقترحات على أن يتألف المجلس الاقتصادي والاجتماعي من ممثلين لثمانية عشر عضوا من أعضاء الهيئة ، وأن يكون انتخاب الدول الممثلة لهذا الغرض بواسطة المجلس العام لمدة ثلاثة أعوام ، وينبغي أن يكون لكل من هذه الدول ممثل واحد ، يكون له صوت واحد ، وتتخذ قرارات المجلس الاقتصادي والاجتماعي بأغلبية بسيطة من أصوات الاعضاء الحاضرين والمشتركين في التصويت .

أما المسئوليات الرئيسية التي تناط بهذا المجلس فتنحصر فيما يلي :

١ — تيسير حلول للمشاكل الدولية الاقتصادية والاجتماعية وسواها من المشاكل الانسانية .

٢ — تعزيز أسباب احترام حقوق الانسان والحريات الجوهرية .

٣ — التوصية بتنسيق مظاهر نشاط المصالح الدولية ، التي سوف تكون على اتصال بالهيئة ، كهيئة الامم المتحدة للأغذية والزراعة المقترحة ، وهيئة العمل الدولية ، ورصيد النقد الدولي والبنك الدولي للانشاء والتعمير المقترحين ، ومصالح مختصة أخرى يرجع اعدادها في ميادين التعليم والتعاون الثقافي والصحة . . الخ .

دعم كيان الأسرة بتقييد الزواج وتحديد الطلاق

لعل أهم ما يتهدد شئون الأسرة فى مصر ، و يفكك الروابط العائلية والمنزلية هو كثرة الزواج والطلاق كثرة لا تتفق مع روح الدين ولا تتمشى مع الأوضاع الاجتماعية القويمة ، ولقد ظلت هذه المسألة بل هذه المأساة الاجتماعية وهى مثار الشكوى من أهل البصيرة والغيرة على كيان الأمة الاجتماعى ، لهذا كانت هذه المسألة فى مقدمة المسائل التى وضعتها وزارة الشؤون الاجتماعية موضع البحث الشامل والدراسة العميقة وانتهت فى ذلك الى وضع مشروع بقانون يقضى بتنظيم قيود الزواج وتحديد الطلاق يتضمن المسائل الآتية :

١ — لا يجوز للمتزوج أن يعقد زواجه بأخرى إلا بأذن من القاضى الشرعى الذى يقع فى دائرة اختصاصه مكان الزوج .

٢ — لا يأذن القاضى الشرعى بزواج متزوج إلا بعد التأكد من أن سلوكه وحالته المعيشية يساعدان على قيامه بحسن المعاشرة والانفاق على أكثر من فى عصمته ومن تجب نفقته عليهم من أصوله وفروعه .

٣ — لا يجوز للمتزوج أن يطلق زوجته إلا بإذن من القاضى الشرعى الذى فى دائرة اختصاصه مكان الزوج ، و إذا وقع الطلاق بدون إذن القاضى ترتب على ذلك ما هو مقرر من الآثار الشرعية وعوقب الزوج بالحبس مدة لا تزيد على ثلاثة شهور و بغرامة لا تتجاوز مائة جنيه أو بإحدى هاتين العقوبتين .

٤ — لا يأذن القاضى الشرعى للمتزوج بتطليق زوجته إلا بعد السعى لتلافى أسباب الخلاف و بعد العجز عن الاصلاح بين الطرفين .

هذه أهم الأسس التى يقوم عليها المشروع ، وليس من شك فى أن هذا المشروع سيكون بناء جديدا لحياة الأسرة فى مصر ، ودعما لكيان الأمة الاجتماعى ، ومما يدعو إلى الغبطة أن الأقطار الشقيقة قد اهتمت اهتماما كبيرا بهذا المشروع ، وأخذت تتبع خطوات انجازه للانتفاع بما له من الآثار والنتائج .

مشروع مكافحة السل

جهود الشباب فى الخدمة الاجتماعية

كان الشباب ولايزال عماد النهوض فى الأمم ، وروح التوثب والطموح ومناط الرجاء والأمل فى جميع الحركات الإصلاحية التى أدت إلى أطيب النتائج وأنفع الآثار، ولكنا يعرف إلى أى مدى استطاع الشباب فى مصر أن يسهم فى بناء نهضة البلاد والارتقاء بمرافقها الاقتصادية وأوضاعها السياسية والاجتماعية .

وإن مما يسجل بالفخر للشباب فى هذه الآونة جهوده الصادقة فى دعم الحياة الاجتماعية والمساهمة فى كثير من المشروعات والبرامج النافعة ، ولقد كان آخر ما للشباب من ذلك الأثر الحميد ما أبداه من الغيرة فى النهوض بمشروع مكافحة السل ، والدعاية لتشجيعه وتعضيده وجمع الاكتتابات له .

لقد توزع الشبان من أبناء الجامعة والمدارس العالية والثانوية وجماعات الرواد — فى جميع أنحاء العاصمة ، ووقفوا بأبواب الطرق والمسالك ، ودخلوا إلى الأندية والبيوت والمجتمعات العامة وبأيديهم الشارات يوزعونها على الناس لإعانة المشروع ، وجمع التبرعات لاسعاف أولئك البائسين الذين يتهددهم الداء الوبيل ، وإن لهم على المجتمع حق العون والرعاية .

ولقد نفذت كمية الشارات التى قدر توزيعها فى أول الأمر ، فأعيد طبع كمية أخرى تعادلها فى القيمة ، وقام الشبان بتوزيعها فى اليوم الثانى ، وبهذا استطاع المشروع أن يستند على دعامة متينة من الجهة المالية وذلك بفضل رعاية الشباب وجهوده ، فبارك الله فى الشباب .

" فيا عاذل الأبطال ان ضج جنهم
رويدك ! إن الدمع إعفاءة الصبر "

الطوبة بمجلة ١٢٩٦-١٩٤٤-٣٥٠٠